أنطون تشيخوف

بستان الكرز

كوميديا في أربعة فصول



ترجمة أبو بكر يوسف

بستان الكرز

كوميديا في أربعة فصول

تأليف
أنطون تشيخوف

ترجمة
أبو بكر يوسف



Вишнёвый сад

Anton Chekhov

بستان الكرز

أنطون تشيخوف

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٥٥٧ ٨

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الروسية عام ١٩٠٤.
صدرت هذه الترجمة عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

المحتويات

شخصيات المسرحية

رانيفسكايا لوبوف أندرييفنا: إقطاعية.

آنيا: ابنتها، ١٧ سنة.

فاريا: ابنتها بالتبني، ٢٤ سنة.

جايف ليونيد أندرييفتش: شقيق رانيفسكايا.

لوباخين يرمولاي أليكسييفتش: تاجر.

تروفيموف بيوتر سيرجييفتش: طالب.

سيميونوف-بيشِّيك بوريس بوريسوفتش: إقطاعي.

شارلوتا إيفانوفنا: مربية أطفال.

يبيخودوف سيميون بانتيلييفتش: وكيل أعمال.

دونياشا: خادمة (فتاة).

فيرس: خادم عجوز، ٨٧ سنة.

ياشا: خادم شاب.

عابر سبيل.

ناظر محطة.

موظف بريد.

ضيوف، خدم.

(الأحداث تجري في ضيعة رانيفسكايا.)

الفصل الأول

(غرفة ما زالت إلى الآن تسمى غرفة الأطفال. أحد الأبواب يُفضي إلى غرفة آنيا. الوقت فجر، قريبًا ستشرق الشمس. شهر مايو قد حلَّ، وأشجار الكرز مزهِرة، إلا أن الجو في البستان بارد، صقيع خفيف في الصباح. نوافذ الغرفة مغلقة. تدخل دونياشا بشمعة ولوباخين بكتاب في يده.)

لوباخين: وصل القطار والحمد لله. كم الساعة؟

دونياشا: تقريبًا الثانية (تطفئ الشمعة) الدنيا نور.

لوباخين: وإذن فكم تأخر القطار؟ ساعتين على الأقل.

(يتثاءب وهو يتمطى) يا لي من شاطر، أي حماقة ارتكبت؟ جئت خصيصًا إلى هنا لأستقبلهم في المحطة، وإذا بي أنعس ... نمت جالسًا. شيء مؤسف ... أما كان بوسعكِ أن توقظيني؟

دونياشا: ظننتك رحلت. (تصيخ السمع) ها هم قادمون فيما يبدو.

لوباخين (مصيخًا)**:** كلا ... فإلى أن يتسلموا الأمتعة، وغير ذلك من الأمور ...

(صمت.)

لوبوف أندرييفنا أمضت في الخارج خمس سنوات، فلا أدري كيف أصبحت الآن ... إنها شخص طيب. شخص لطيف، بسيط. أذكر عندما كنت صبيًّا، في حوالي الخامسة عشرة، ضربني المرحوم أبي — وكان آنذاك صاحب دكان هنا في القرية — ضربني بقبضته في وجهي، فتدفق الدم من أنفي ... جئت معه آنذاك لغرض ما إلى هذه الدار، وكان ثملًا. وأذكر كأنما الآن كيف أخذتني لوبوف أندرييفنا، وكانت ما تزال شابة، نحيفة للغاية، إلى

حوض الغسيل هنا، في هذه الغرفة نفسها، غرفة الأطفال. وقالت لي: «لا تبكِ أيها الفلاح الصغير، ستُشفى قبل الزواج ...»

(صمت.)

الفلاح الصغير ... حقًّا كان أبي فلاحًا، أما أنا فأرتدي صديريًّا أبيض، وحذاء أصفر. من خفير إلى أمير. إنني غني، ونقودي كثيرة، ولكن إذا أمعنا التفكير ودققنا فأنا فلاح جلف ... (يقلِّب صفحات الكتاب) قرأت هذا الكتاب فلم أفهم شيئًا. نعست وأنا أقرأ.

(صمت.)

دونياشا: الكلاب لم تنم طول الليل، تشعر أن أسيادها قادمون.

لوباخين: ما لكِ يا دونياشا هكذا؟

دونياشا: يداي ترتعشان ... سيُغمى عليَّ.

لوباخين: يا لك من رقيقة يا دونياشا. وتلبسين ثيابًا كثِياب السيدة، وتسريحتك أيضًا. لا يصح. ينبغي أن تذكري من أنتِ.

(يدخل يبيخودوف ومعه باقة زهر، يرتدي سترة وحذاء عاليًا منظفًا حتى اللمعان يصدر عنه صرير قوي. عندما يدخل تسقط منه الباقة.)

يبيخودوف (يرفع الباقة)**:** البستاني أرسل هذا، قال: ضعوها في غرفة الطعام (يعطي الباقة لدونياشا).

لوباخين: هاتي معك كفاسًا.[1]

دونياشا: حاضر (تنصرف).

يبيخودوف: الصقيع الآن يهبط في الصباح، ثلاث درجات تحت الصفر، والكرز في عز ازدهاره. لا أستطيع أن أحبذ مناخنا. (يتنهد) لا أستطيع. مناخنا لا يمكن أن يعين بالصورة المناسِبة. اسمح لي يا يرمولاي أليكسييفتش أن أضيف إلى القول بأني اشتريت منذ ثلاثة أيام حذاء، فإذا به، ودعني أؤكد لك، يصر إلى درجة لا تُحتمل. فبِمَ أدهنه؟

لوباخين: ابتعد، أضجرتني.

---

[1] الكفاس: مشروب شعبي يُصنع من الخبز الأسود المخمر. (المعرب)

يبيخودوف: كل يوم تصيبني بلوى ما. ولكني لا أتذمر، تعوَّدت، بل حتى أبتسم.

(تدخل دونياشا وتقدم الكفاس للوباخين.)

سأذهب (يصطدم بالكرسي فيسقط الكرسي) انظر ...
(بلهجةٍ ظافرة) أرأيت، واعذرني على التعبير، هذه الحالة بالمناسبة؟ بل هذا ببساطة رائع! (ينصرف.)

دونياشا: أصارحك يا يرمولاي أليكسييفتش بأن يبيخودوف عرض عليَّ الزواج.

لوباخين: آ!

دونياشا: لا أدري ما العمل ... إنه شخص طيب، ولكن أحيانًا يبدأ في الكلام فلا تفهم منه شيئًا ... كلام جميل، مؤثر، لكن غير مفهوم. يخيَّل إليَّ أنه يعجبني. وهو يحبني بجنون. إنه إنسان تعيس، كل يوم يحدث له شيء ... وهكذا يغيظونه هنا باسم «العشرون مصيبة»!

لوباخين (يصيخ)**:** ها هم قادمون فيما يبدو.

دونياشا: قادمون! ماذا جرى لي؟ البرودة تشملني كلي.

لوباخين: بالفعل قادمون. هيا نستقبلهم. ترى هل ستعرفني؟ لم نتقابل منذ خمس سنوات.

دونياشا (منفعلة)**:** سأسقط الآن ... آه سأسقط!

(يسمع صوت عربتين تدلفان إلى المنزل. لوباخين ودونياشا ينصرفان بسرعة. الخشبة خاوية. في الغرف المجاورة تتصاعد ضجة. فيرس الذي كان قد سافر لاستقبال لوبوف أندرييفنا يمر عبر الخشبة بعجلة، معتمدًا على عصاه، يرتدي كسوة خدم عتيقة الطراز وقبعة عالية، يكلم نفسه بعبارات مُبهَمة لا يمكن فهم كلمة واحدة منها. الضجة تتصاعد خلف الخشبة، صوت يقول: «هيا نمر من هنا ...» لوبوف أندرييفنا وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا معها كلب صغير بمقود، مرتديات ثياب السفر. فاريا في معطف ومنديل رأس، جايف وسيميونوف بيشِّيك، ولوباخين ودونياشا ومعها صرة وشمسية، والخدم يحملون الأمتعة، الكل يمرون عبر الغرفة.)

آنيا: فلنمر من هنا، أتذكرين يا ماما أي غرفة هذه؟

لوبوف أندرييفنا (بفرحة، من خلال الدموع)**:** غرفة الأطفال!

فاريا: يا للبرد، يداي تجمدَّتا (للوبوف أندرييفنا) غرفتاكِ، البيضاء والبنفسجية، ظلَّتا كما كانتا يا ماما.

لوبوف أندرييفنا: غرفة الأطفال، غرفتي الحبيبة، الرائعة ... كنت أنام هنا وأنا طفلة ... (تبكي) والآن أيضًا أبدو كطفلة ... (تُقبِّل أخاها وفاريا، ثم أخاها ثانية) أما فاريا فهي كما كانت من قبل، تشبه الراهبة. ودونياشا عرفتها ...

(تُقبِّل دونياشا.)

جايف: القطار تأخر ساعتين، هل رأيت؟ أرأيت هذه الأمور؟

شارلوتا (لبيشيك)**:** كلبتي تأكل حتى الجوز.

بيشيك (مندهشًا)**:** يا سلام!

(يخرج الجميع ما عدا آنيا ودونياشا.)

دونياشا: كم انتظرناكم ... (تنزع عن آنيا المعطف والقبعة.)

آنيا: لم أنم في الطريق أربع ليالٍ ... أشعر الآن ببرودة شديدة.

دونياشا: أنتم سافرتم في الصيام الكبير، وكان وقتها ثلج، صقيع، والآن؟ آه يا حبيبتي! (تضحك، تُقبِّلها) كم انتظرناكِ يا فرحتي، يا نور عيني ... سأخبرك الآن حالًا، أنا لا أستطيع أن أنتظر دقيقة واحدة!

آنيا (بفتور)**:** شيئًا ما مرة أخرى.

دونياشا: وكيل الأعمال يبيخودوف بعد عيد الفصح عرض عليَّ الزواج.

آنيا: دائمًا عن نفس الشيء ... (تسوي شعرها) ضيعت كل بنسي ... (مرهَقة جدًّا، بل حتى تترنح.)

دونياشا: لست أدري ما العمل. إنه يحبني، كم يحبني!

آنيا (تنظر عبر باب غرفتها برقة)**:** غرفتي، نوافذي، كأني لم أرحل. أنا في البيت! غدًا صباحًا سأنهض فأركض إلى البستان ... آه لو أستطيع أن أنام! لم أنم طوال الطريق، وتملَّكني القلق.

دونياشا: بيوتر سيرجييفتش جاء منذ ثلاثة أيام.

آنيا (بفرحة)**:** بيتيا!

دونياشا: ينام في الحمام، وهناك يعيش. يقول: أخشى أن أضايقكم. (تنظر إلى ساعة جيبها) ينبغي أن أوقظه، لكن فارفارا ميخايلوفنا منعتني، قالت لي: لا توقظيه.

(تدخل فاريا وفي حزامها سلسلة مفاتيح.)

فاريا: القهوة يا دونياشا، بسرعة ... ماما تريد قهوة.

دونياشا: حالًا! (تخرج.)

فاريا: وصلتم والحمد لله. ها أنت في البيت ثانيةً. (تلاطفها) حبيبتي جاءت! حسنائي جاءت!

آنيا: كم تعذبت!

فاريا: أتصور ذلك!

آنيا: سافرت من هنا في أسبوع الآلام، وكان الجو باردًا، وأخذَت شارلوتا تتحدث طوال الطريق وتقدم ألعابًا، لا أدري لماذا فرضت عليَّ شارلوتا.

فاريا: لا يمكن أن تسافري وحدك يا روحي، في السابعة عشرة!

آنيا: وصلنا إلى باريس ... برد، وفرنسيتي فظة. ماما تسكن في الطابق الخامس. دخلت، فوجدت عندها فرنسيين لا أعرفهم وسيدات وقسًّا عجوزًا يمسك بكتاب، والدخان يملأ الغرفة، والجو غير مريح. وفجأة أحسست بالرثاء الشديد لماما، فضممت رأسها إليَّ، وأطبقت عليه بيدي ولم أستطع أن أتركه. وبعدها ظلت ماما تلاطفني طويلًا وتبكي.

فاريا (من خلال الدموع): نعم، نعم.

آنيا: كانت قد باعت فيلتها قرب «منتونا»، ولم يعد لديها شيء، على الإطلاق. وأنا أيضًا لم يبقَ لدَي كوبيك، وصلنا بالكاد. ولكن ماما لا تفهم! إذا جلسنا في مقصف المحطة للغداء تطلب أغلى المأكولات، وتعطي بقشيشًا لكل خادم روبلًا. وشارلوتا أيضًا. وياشا أيضًا يطلب لنفسه طبقًا، شيء فظيع. لدى ماما خادم؛ ياشا، جئنا به إلى هنا.

فاريا: رأيته الوغد.

آنيا: حسنًا، ماذا؟ هل سددتم فوائد الدين؟

فاريا: من أين لنا؟

آنيا: يا إلهي، يا إلهي!

فاريا: في أغسطس ستُباع الضيعة.

آنيا: يا إلهي!

لوباخين (يطل من الباب ويخور): مو ... مو ... مو ... (ينصرف.)

فاريا (من خلال الدموع): بودي لو ضربته في سحنته.

(تتوعد بقبضتها.)

آنيا (تعانق فاريا، تقول بصوتٍ خافت)**:** فاريا، هل تقدم لخطبتك؟ (فاريا تهز رأسها سلبًا) ولكنه يحبك ... لماذا لا تتصارحان؟ ماذا تنتظران؟

فاريا: أعتقد لن نتوصل إلى شيء. لديه أعمال كثيرة، عنده ما يشغله عني ... لا يُلقي إليَّ بالًا، سامحه الله، رؤيته أمامي كم تعذبني. الجميع يتحدثون عن زواجنا، الجميع يهنئون، بينما ليس هناك شيء، كأنما حلم ... (بنبرة أخرى) بروشك هذا يشبه النحلة.

آنيا (بحزن)**:** ماما اشترته. (تذهب إلى غرفتها، تقول بصوتٍ مرِح، كالأطفال) في باريس طرت في المنطاد!

فاريا: حبيبتي جاءت! حسنائي جاءت!

(دونياشا تعود بغلاية القهوة وتشرع في إعدادها.)

(واقفة بجوار الباب) أدور يا حبيبتي طول النهار في البيت وأنا أعمل وأحلم. لو نزوجك من رجل غني، إذن لاطمأن قلبي، ولذهبت إلى الدير ثم إلى كييف ... وإلى موسكو، ولطُفتُ بجميع الأماكن المقدسة ... لظللت طوال الوقت أطوف وأطوف ... يا للجلال!

آنيا: الطيور تصدح في البستان. كم الساعة الآن؟

فاريا: لعلها الثالثة. ينبغي أن تنامي يا حبيبتي (تدخل غرفة آنيا) يا للجلال!

(يدخل ياشا بحرام وحقيبة سفر.)

ياشا (يسير عبر الخشبة، بلهجةٍ مؤدبة)**:** أيمكنني أن أمُرَّ من هنا؟

دونياشا: كم تغيرت يا ياشا في الخارج. يصعب التعرف عليك.

ياشا: إم ... ومن أنت؟

دونياشا: عندما سافرت كنت أنا هكذا ... (تشير بيدها بارتفاع عن الأرض) أنا دونياشا ... ابنة فيودور كوزودويف. لا تذكِّرني!

ياشا: إم ... يا للتفاحة! (يتلفت ثم يحضنها، تصرخ ويسقط منها الطبق. ياشا ينصرف بسرعة.)

فاريا (في الباب، بصوتٍ ساخط)**:** ماذا يحدث هنا؟

دونياشا (من خلال الدموع)**:** كسرت الطبق.

فاريا: هذا فألٌ حسن.

آنيا (خارجة من غرفتها)**:** يجب تنبيه ماما، بأن بيتيا هنا.

فاريا: أنا أمرت بعدم إيقاظه.

آنيا (بتفكير)**:** منذ ست سنواتٍ مات أبي، وبعد شهر غَرِق في النهر أخي جريشا، صبي لطيف في السابعة. لم تحتمل ماما فهربت، لاذت بالفرار ... (تنتفض) آه لو تدري كم أفهمُها!

(صمت.)

كان بيتيا تروفيموف يدرس لجريشا، وقد يُذكِّرها به.

(يدخل فيرس، يرتدي سترة وصديريًّا أبيض.)

فيرس (يتجه إلى غلاية القهوة، يقول مهمومًا)**:** السيدة ستتناولها هنا ... (يرتدي القفاز الأبيض) القهوة جاهزة؟ (يقول لدونياشا بصرامة) أنتِ! والكريمة؟

دونياشا: آه يا إلهي! (تخرج بسرعة.)

فيرس (يسعى مهمومًا بجوار غلاية القهوة)**:** يا لكِ من مغفلة ... (يدمدم لنفسه) جاءوا من باريس ... والسيد أيضًا ذهب إلى باريس في زمانه ... على الخيول.

(يضحك.)

فاريا: عمَّ تتحدث يا فيرس؟

فيرس: أي خدمة؟ (بفرح) سيدتي عادت! عشت حتى رأيتها! الآن أستطيع أن أموت ... (يبكي من الفرحة.)

(تدخل لوبوف أندرييفنا، وجايف، وسيميونوف-بيشيك. سيميونوف-بيشيك يرتدي سترة من الجوخ الخفيف وسروالًا فضفاضًا. جايف في أثناء دخوله يصنع بيديه وجسمه حركات وكأنه يلعب البلياردو.)

لوبوف أندرييفنا: كيف ذلك؟ دعني أتذكر ... الصفراء إلى الزاوية! دوبل إلى الوسط!

جايف: اضرب في الزاوية! في وقتٍ ما كنا ننام معًا في هذه الغرفة يا أختاه، أما الآن فعندي واحد وخمسون عامًا، مهما بدا غريبًا.

لوباخين: نعم، الزمن يمضي.

جايف: مَن؟

لوباخين: أقول الزمن يمضي.

جايف: هنا تفوح رائحة العطور الرخيصة.

آنيا: سأذهب لأنام. تصبحين على خير يا ماما (تُقبِّل أمها).

لوبوف أندرييفنا: يا بنيتي الكتكوتة (تُقبِّل يديها) أنتِ سعيدة بالعودة للبيت؟ أنا لا أستطيع أن أهدأ.

آنيا: الوداع يا خالي.

جايف (يُقبِّل وجهها ويديها)**:** يحرسك الله، كم تشبهين أمك! (لأخته) كنتِ يا لوبوف في عمرها مثلها بالضبط.

(آنيا تمد يدها إلى لوباخين وبيشيك، ثم تخرج وتوصد الباب خلفها.)

لوبوف أندرييفنا: إنها مرهقة جدًّا.

بيشيك: لا بد أن الطريق طويل.

فاريا (إلى لوباخين وبيشيك)**:** ماذا يا سادة؟ الساعة الثالثة، آن أن تنصرفا.

لوبوف أندرييفنا (تضحك)**:** أنتِ مثلما كنتِ يا فاريا (تضمها إليها وتُقبِّلها) سأفرغ من القهوة فننصرف جميعًا.

(فيرس يضع وسادة تحت قدميها.)

أشكرك يا عزيزي ... لقد تعودت على القهوة، أشربها نهارًا وليلًا. أشكرك يا عجوزي (تُقبِّل فيرس).

فاريا: سأرى هل أحضروا كل الأمتعة (تخرج).

لوبوف أندرييفنا: أحقًّا أنا الجالسة؟ (تضحك) أريد أن أقفز، أن أشيح بيدي (تخفي وجهها بيديها) ربما كنت نائمة! يعلم الله كم أحب الوطن، أحبه برقة، لم أستطع النظر من العربة، كنت أبكي. (من خلال الدموع) لكن ينبغي أن أشرب القهوة. شكرًا يا فيرس، شكرًا يا عجوزي. كم أنا سعيدة لأنك ما زلت حيًّا.

فيرس: أول أمس.

جايف: إنه لا يسمع جيدًا.

لوباخين: عليَّ الآن، في الخامسة صباحًا، أن أسافر إلى خاركوف. يا للأسف! وددت أن أستمتع بصحبتك، بالحديث معكِ ... أنتِ كما كنتِ ... رائعة.

بيشيك (يتنفس بصعوبة)**:** بل ازددت حُسنًا ... في أزياء باريسية ... فلتهلك عربتي، وعجلاتها الأربع.

لوباخين: أخوك، ليونيد أندرييفتش هذا، يقول عني إنني جلف، كولاك، ولكن ذلك سيان بالنسبة لي. فليقل. بودي فقط أن تصدقيني كما في السابق، أن تنظر إليَّ عيناك المدهشتان المؤثرتان كما في السابق. يا إلهي الرحيم! لقد كان أبي عبدًا عند جدك وأبيك، ولكنك، أنتِ بالذات، صنعت الكثير من أجلي في وقت ما، حتى إنني نسيت كل شيء، وأصبحت أحبك كقريبة ... بل أكثر من قريبة.

لوبوف أندرييفنا: لا أستطيع أن أبقى جالسة، لا أقوى ... (تقفز وتذرع الغرفة في انفعال شديد) لن أتحمل هذه الفرحة ... اضحكوا مني فأنا حمقاء ... يا دولابي الغالي (تُقبِّل الدولاب) يا طاولتي.

جايف: في غيابك ماتت الدادة.

لوبوف أندرييفنا (تجلس وتشرب القهوة)**:** نعم، عليها الرحمة. علمتُ من الرسائل.

جايف: وأنستاسي أيضًا مات. بتروشكا الأعور تركني، وهو الآن في المدينة، يعيش عند رئيس الشرطة.

(يُخرِج من جيبه علبة كراملة ويمص منها.)

بيشيك: ابنتي داشنكا ... تبعث إليك بتحياتها.

لوباخين: بودي أن أقول لكِ شيئًا سارًّا للغاية، مفرحًا (ينظر إلى ساعته) سأسافر الآن، لا وقت للكلام ... طيب، في كلمتين أو ثلاث. أنتِ قد علمتِ بأن بستان الكرز، بستانكم، سيباع سدادًا للديون، وتَحَدَّد الثاني والعشرون من أغسطس للمزاد، ولكن لا تقلقي يا عزيزتي، نامي مطمئنة، فهناك حل ... هاكم مشروعي، أرجو الانتباه! ضيعتك تقع على بُعد عشرين كيلومترًا فقط من المدينة، وبقربها مُد خط سكة حديد، ولو قُسِّم بستان الكرز والأراضي الواقعة على النهر إلى قِطع لبناء الفيلات، وأُجرَت هذه القطع، فسوف تحصلين على خمسة وعشرين ألفًا في السنة على الأقل.

جايف: عفوًا، هذا كلام فارغ!

لوبوف أندرييفنا: أنا لا أفهمك تمامًا يا يرمولاي أليكسييفتش.

لوباخين: ستأخذون من المصطافين، أصحاب الفيلات، خمسة وعشرين روبلًا على الأقل في السنة مقابل عشر الهكتار، ولو أعلنتم الآن فورًا فأقسم لكم بما تشاءون بأنه حتى الخريف لن تتبقى لديكم قطعة أرض واحدة، ستؤجر كلها. وباختصارٍ أهنئكم، لقد أنقِذتُم. الموقع رائع، والنهر عميق. لكن بالطبع ينبغي تنظيف المكان قليلًا، وتهذيبه ...

مثلًا، يعني، إزالة جميع المباني القديمة، وهذا المنزل، الذي لم يعد يصلح قط، تقطيع أشجار بستان الكرز القديم.

لوبوف أندرييفنا: تقطيع الأشجار؟ يا عزيزي، عفوًا، إنك لا تفقه شيئًا. إذا كان هناك في المحافظة كلها شيء طريف بل رائع، فهو فقط بستان كرزنا.

لوباخين: الشيء الرائع الوحيد في هذا البستان أنه كبير جدًّا، فالكرز لا يثمر إلا مرة كل عامين، ثم إنه لا يمكن تصريفه، لا أحد يشتريه.

جايف: وفي «المعجم الموسوعي» ورد ذكر هذا البستان.

لوباخين (ينظر إلى ساعته)**:** إذا لم نتوصل إلى شيء ولم نجد حلًّا ففي الثاني والعشرين من أغسطس سيباع بستان الكرز والضيعة في المزاد، أقدِموا إذن! لا يوجد حل آخر، أقسم لكم. لا يوجد، لا يوجد.

فيرس: في الماضي، منذ حوالي أربعين أو خمسين سنة، كانوا يجففون الكرز، وينقعونه، ويخللونه، ويصنعون منه المربى وكانوا …

جايف: اسكت يا فيرس.

فيرس: وكانوا يرسلون الكرز المجفف بالعربات إلى موسكو وخاركوف. ما كان أكثر النقود! وكان الكرز المجفف آنذاك طريًّا، ريان، حلوًا، عطرًا … كانت لديهم طريقة آنذاك.

لوبوف أندرييفنا: وأين تلك الطريقة الآن؟

فيرس: نسوها. لا أحد يذكرها.

بيشيك (للوبوف أندرييفنا)**:** ماذا في باريس؟ كيف الحال؟ أكلت ضفادع؟

لوبوف أندرييفنا: أكلت تماسيح.

بيشيك: يا سلام!

لوباخين: لم يكن يعيش في الريف من قبل سوى السادة والفلاحين، أما الآن فظهر المصطافون، أصحاب الفيلات. جميع المدن حتى أصغرها، مُحاطة اليوم بالفيلات. ويمكن القول إنه خلال عشرين سنة سيتكاثر المصطافون بدرجة هائلة. المصطاف الآن يشرب الشاي فقط في الشرفة، ولكن ربما يحدث أن يمارس الفِلاحة في عُشر هكتاره، وعندئذ سيصبح بستان كرزكم محظوظًا، ثريًّا، فخمًا.

جايف (باستياء)**:** ما هذا الهراء؟

(تدخل فاريا وياشا.)

فاريا: وصلت برقيتان لكِ يا ماما. (تجد المفتاح المناسب وتفتح دولابًا قديمًا برنينٍ عال) ها هما.

لوبوف أندرييفنا: إنهما من باريس. (تمزِّق البرقيتين دون أن تقرأهما) باريس انتهت.

جايف: أتعلمين يا لوبا كم عمر هذا الدولاب؟

منذ أسبوع سحبت الدرج الأسفل فرأيت أرقامًا محفورةً، صُنع الدولاب منذ مائة عامٍ بالضبط. أرأيت؟ هه؟ كان من الممكن الاحتفال بعِيده. إنه مادة غير حية ولكنه، مهما كان، دولاب كتب.

بيشيك (بدهشة)**:** مائة عام ... يا سلام!

جايف: نعم، هذه تحفة ... (يتلمس الدولاب) أيها الدولاب العزيز الموقر! إنني أحيي وجودك، الذي كان موجهًا منذ أكثر من مائة عامٍ إلى المُثُل المشرقة للخير والعدالة. إن دعوتك الصامتة إلى العمل المثمر لم تضعف طوال مائة عام، وهي تساند (من خلال الدموع) الهِمة والإيمان بمستقبل أفضل في أجيال عائلتنا، وتُربي فينا مُثُل الخير والوعي الاجتماعي.

(صمت.)

لوباخين: نعم.

لوبوف أندرييفنا: أنت لم تتغير يا لونيا.

جايف (خجلًا بعض الشيء)**:** من الكرة إلى اليمين إلى الزاوية! اضرب في الوسط!

لوباخين (يتطلع إلى الساعة)**:** حسنًا، حان رحيلي.

ياشا (يقدم الدواء للوبوف أندرييفنا)**:** ربما تتناولين الأقراص الآن.

بيشيك: لا داعي لتناول الأدوية يا عزيزتي ... ليس منها ضرر ولا نفع ... هاتيها هنا، سيدتي الموقرة (يأخذ الأقراص ويفرغها في راحة يده، وينفخ فيها ثم يضعها في فمه ويبلعها بالكفاس) هكذا!

لوبوف أندرييفنا (بفزع)**:** أنت جننت!

بيشيك: تناولت كل الأقراص.

لوباخين: يا لها من بلَّاعة!

(الجميع يضحكون.)

فيرس: في عيد القيامة كان عندنا، أكل نصف دلو خيار.

(يدمدم.)

لوبوف أندرييفنا: عمَّ يتحدث؟
فاريا: منذ ثلاث سنوات وهو يدمدم هكذا. لقد تعودنا.
ياشا: سن متأخرة!

(تمر عبر الخشبة شارلوتا إيفانوفنا في فستان أبيض، نحيفة جدًّا، مشدودة، بمنظار في حزامها.)

لوباخين: عفوًا يا شارلوتا إيفانوفنا، لم أتمكن بعدُ من تحيتك.

(يريد أن يُقبِّل يدها.)

شارلوتا (تجذب يدها): إذا سمحتُ لك بتقبيل يدي فسترغب بعد ذلك في تقبيل كوعي، ثم كتفي.
لوباخين: أنا اليوم سيئ الحظ.

(الجميع يضحكون.)

شارلوتا إيفانوفنا، أرينا نمرة!
لوبوف أندرييفنا: شارلوتا، أرينا نمرة!
شارلوتا: لا داعي. أريد أن أنام (تنصرف).
لوباخين: أراكم بعد ثلاثة أسابيع. (يُقبِّل يد لوبوف أندرييفنا) إلى اللقاء، وداعًا. حان الوقت! (لجايف) إلى اللقاء. (يتبادل القبلات مع بيشيك) إلى اللقاء. (يمد يده لفاريا ثم لفيرس ثم لياشا) لا أرغب في الرحيل. (للوبوف أندرييفنا) إذا فكرت بخصوص الفيلات وقررت فأخبريني، وسأحصل على قرض بحدود خمسين ألفًا. فكِّري جديًّا.
فاريا (بغضب): هلَّا رحلتَ في النهاية!
لوباخين: راحل، راحل! (ينصرف.)
جايف: جلف. لكن عفوًا ... فاريا ستتزوجه، إنه عريس فاريا الغالي.
فاريا: لا داعي لهذا الكلام يا خالي.
لوبوف أندرييفنا: حسنًا يا فاريا. سأكون سعيدة جدًّا. إنه رجل طيب.

بيشيك: الحقيقة إنه رجل ... ذو مكانة ... وداشنكا ابنتي تقول أيضًا ... تقول أشياء كثيرة: «يغط ويشخر ثم يفيق في التو»، ومع ذلك يا سيدتي الموقرة أقرضيني ... سُلفة. مائتين وأربعين روبلًا ... عليَّ أن أُسدد غدًا ديون الرهونات.

فاريا (بفزع)**:** لا يوجد، لا يوجد!

لوبوف أندرييفنا: بالفعل ليس لدَي نقود.

بيشيك: ستجدين. (يضحك) أنا لا أفقد الأمل أبدًا. ظننت أن كل شيء ضاع، أنني هلكت، وإذا بالسكة الحديد تمر عبر أرضي و... دفعوا لي. وهكذا ربما يحدث شيء آخر، إن لم يكن اليوم فغدًا ... ربما تفوز داشنكا بمائتي ألف ... لديها ورقة يانصيب.

لوبوف أندرييفنا: القهوة شربناها، ويمكننا أن ننام.

فيرس (ينظف جايف بالفرشاة، يقول بوصاية)**:** مرة ثانية لم تلبس السروال المناسب. آه، ماذا أفعل معك؟

فاريا (بصوتٍ خافت)**:** آنيا نامت. (تفتح النافذة بحذر) أشرقت الشمس والجو غير بارد. انظري يا ماما، ما أروع هذه الأشجار! يا إلهي، والهواء! والزرازير تشدو!

جايف (يفتح النافذة الأخرى)**:** البستان كله أبيض. ألم تنسي يا لوبا؟ هذا الدرب الطويل يمتد مستقيمًا مستقيمًا، كأنه حزام مشدود، وفي الليالي المقمرة يلمع. أتذكرين؟ ألم تنسي؟

لوبوف أندرييفنا (تنظر من النافذة إلى البستان)**:** يا طفولتي، يا طهارتي! في غرفة الأطفال هذه كنت أنام، وأنظر من هنا إلى البستان، والسعادة تستيقظ معي كل صباح، وكان آنذاك مثلما هو الآن تمامًا، لم يتغير شيء. (تضحك من الفرحة) كله، كله أبيض! يا بستاني الحبيب! بعد الخريف المظلم المكفهر، والشتاء البارد عدت فتيًّا، مفعمًا بالسعادة ولم تهجرك ملائكة السماء ... لو أستطيع أن ألقي عن صدري وكتفيَّ ذلك الحجر الثقيل، لو أستطيع أن أنسى الماضي!

جايف: نعم، وسيباع البستان سدادًا للديون، مهما بدا هذا غريبًا ...

لوبوف أندرييفنا: انظروا، المرحومة أمي تسير في البستان ... في فستان أبيض! (تضحك من الفرحة) إنها هي.

جايف: أين؟

فاريا: ماما، ماذا بك؟

لوبوف أندرييفنا: لا أحد، خُيِّل إليَّ. إلى اليمين، عند المنعطف المؤدي إلى العريشة، انحنت شجرة بيضاء، تشبه امرأة ... (يدخل تروفيموف في سترة طلابية بالية، يرتدي نظارة) يا له من بستان رائع! كتل من الزهر الأبيض، والسماء زرقاء.

تروفيموف: لوبوف أندرييفنا! (تلتفت نحوه) جئت لأحييك وسأنصرف فورًا. (يُقبِّل يدها بحرارة) أمروني أن أنتظر حتى الصباح، لكني لم أُطق صبرًا.

(تنظر لوبوف أندرييفنا إليه بدهشة.)

فاريا (من خلال الدموع)**:** هذا بيتيا تروفيموف.

تروفيموف: بيتيا تروفيموف، المدرس السابق لابنك جريشا.
أحقًّا تغيرتُ إلى هذه الدرجة؟

(لوبوف أندرييفنا تعانقه وتبكي بصمت.)

جايف (مرتبكًا)**:** كفى، كفى يا لوبا.

فاريا (تبكي)**:** ألم أقل لك يا بيتيا أن تنتظر إلى الصباح؟

لوبوف أندرييفنا: جريشا ولدي ... حبيبي ... جريشا ... ابني.

فاريا: ما العمل يا ماما؟ مشيئة الله.

تروفيموف (بصوتٍ ناعم، من خلال الدموع)**:** كفى، كفى.

لوبوف أندرييفنا (تبكي بصوتٍ خافت)**:** مات ولدي ... غرق ... لماذا؟ لماذا يا صديقي؟ (بصوتٍ أهدأ) آنيا نائمة هناك، وأنا أتحدث بصوتٍ عالٍ ... أثير ضجة ... حسنًا يا بيتيا؟ لماذا ساء حالك هكذا؟ لماذا هرمت؟

تروفيموف: في القطار أطلقت عليَّ إحدى الفلاحات وصف: السيد الباهت.

لوبوف أندرييفنا: كنت آنذاك صبيًّا صغيرًا، طالبًا لطيفًا، والآن نسل شعرك، ووضعت نظارة. أما تزال بعدُ طالبًا؟ (تسير نحو الباب.)

تروفيموف: يبدو أنني سأظل طالبًا أبديًّا.

لوبوف أندرييفنا (تُقبِّل أخاها، ثم فاريا)**:** حسنًا، اذهبوا لتناموا ... أنت أيضًا هرمت يا ليونيد.

بيشيك (يتبعها)**:** وإذن آن أن ننام ... آه من نقرسي اللعين. سأبيت عندكم ... لوبوف أندرييفنا، يا روحي، لو يعني صباح الغد ... مائتين وأربعين روبلًا.

جايف: ما زال يردد موَّاله.

بيشيك: مائتين وأربعين روبلًا ... لتسديد فوائد الرهونات.

لوبوف أندرييفنا: ليست عندي نقود يا عزيزي.

بيشيك: سأرده يا عزيزتي ... مبلغ تافه.

لوبوف أندرييفنا: طيب، حسنًا، ليونيد سيعطيك ... أعطه يا ليونيد.

جايف: فليأخذ إن وجد.

لوبوف أندرييفنا: وما العمل؟ أعطه ... إنه محتاج ... سيرده.

(لوبوف أندرييفنا وتروفيموف وبيشيك وفيرس ينصرفون. يبقى جايف وفاريا وياشا.)

جايف: لم تنسَ أختي بعدُ تبذير النقود (لياشا) ابتعد يا حضرة، تفوح منك رائحة الدجاج.

ياشا (بسخرية)**:** وأنت يا ليونيد أندرييفتش ما زلت مثلما كنت.

جايف: مَن؟ (لفاريا) ماذا قال؟

فاريا (لياشا)**:** أمك جاءت من القرية، منذ الأمس تجلس في غرفة الخدم، تريد أن تراك.

ياشا: الله يسهل لها!

فاريا: يا للوقاحة!

ياشا: لمَ العجلة؟ تستطيع أن تأتي غدًا (ينصرف).

فاريا: ماما مثلما كانت، لم تتغير قط. لو تُركت على حريتها لوزعت كل شيء.

جايف: نعم.

(صمت.)

إذا اقترح الكثير من الوسائل لعلاج مرض ما، فهذا يعني أن المرض لا شفاء منه. إنني أفكر، وأُجهد عقلي، وعندي الكثير من الوسائل الكثيرة جدًّا. وإذن، فعمليًّا، ليست لدَي ولا واحدة. لو أمكن الحصول على ميراث من شخص ما، لو أمكن تزويج آنيا من رجل غني جدًّا، لو أمكن الذهاب إلى ياروسلافل لأجرب حظي مع عمتي الكونتيسة. فعمتي غنية، غنية جدًّا.

فاريا (تبكي)**:** لو يساعدنا الله.

جايف: لا تنوحي. عمتي غنية جدًّا، لكنها لا تحبنا. فأولًا: تزوجت أختي محاميًا، من غير النبلاء ...

(آنيا تظهر في الباب.)

تزوجت رجلًا غير نبيل، ولم يكن سلوكها، يعني، يمكن وصفه بالعفة الشديدة. إنها إنسانة جيدة، طيبة، رائعة، وأنا أحبها جدًّا، ولكن مهما بحثنا عن أعذار مخففة، فلا بد من الاعتراف بأنها فاسدة. ويلوح هذا في أي حركة منها.

فاريا (هامسةً)**:** آنيا تقف في الباب.

جايف: مَن؟

(صمت.)

عجيبة، عيني اليمنى أصابها شيء ... لم أعد أبصر جيدًا. يوم الخميس، عندما كنت في محكمة الناحية ...

(آنيا تدخل.)

فاريا: لماذا لا تنامين يا آنيا؟

آنيا: لا أستطيع. عندي أرق.

جايف: يا صغيرتي (يُقبِّل وجه آنيا ويديها) يا بنيتي ... (من خلال الدموع) أنتِ لست ابنة أختي، أنتِ ملاكي، أنتِ كل شيء بالنسبة لي. صدقيني، صدقيني.

آنيا: إنني أصدقك يا خالي. الجميع يحبونك، يحترمونك ... ولكن الأفضل، يا خالي، أن تصمت، فقط تصمت. ماذا كنت تقول منذ لحظةٍ عن أمي، عن أختك؟ لأي غرض تقول ذلك؟

جايف: نعم، نعم ... (يغطي وجهه بيدها هي) حقًّا، هذا فظيع. يا إلهي يا إلهي خلصني! واليوم ألقيت كلمة أمام الدولاب ... يا للحماقة! لم أدرك أنها حماقة إلا عندما فرغت.

فاريا: حقًّا يا خالي، الأفضل أن تصمت. اصمت ولا شيء أكثر.

آنيا: إذا لزمت الصمت فستشعر بالاطمئنان أكثر.

جايف: سأصمت. (يُقبِّل أيدي آنيا وفاريا) سأصمت. فقط سأتحدث عن عمل. يوم الخميس كنت في محكمة الناحية. حسنًا، التقيت مجموعة من المعارف، ودار الحديث في شتَّى الأمور، ويبدو أنه سيكون من الممكن الحصول على سلفة بكمبيالات وتسديد الفوائد للبنك.

فاريا: لو يساعدنا الله!

جايف: سأسافر يوم الثلاثاء مرة أخرى للتباحث. (لفاريا) لا تنوحي. (لآنيا) ستتحدث أمك مع لوباخين. لن يرفض طلبها بالطبع ... أما أنت فما إن تستريحين حتى تسافري إلى ياروسلافل، إلى الكونتيسة، جدتك. وهكذا سنتحرك من ثلاث جهات، وعندئذ فالمسألة مضمونة. سنسدد الفوائد، أنا واثق ... (يضع حبة كراملة في فمه) أقسم لكم بشرفي، بكل ما تريدون، لن تُباع الضيعة! (بانفعال) أقسم بسعادتي! ها هي يدي، ولتعتبريني وغدًا بلا شرف لو سمحت بإجراء المزاد! أقسم بكل كياني!

آنيا (عاد إليها المزاج الهادئ، وهي سعيدة)**:** كم أنت طيب يا خالي، كم أنت ذكي! (تعانقه) أنا الآن مطمئنة! أنا مطمئنة! أنا سعيدة!

(يدخل فيرس.)

فيرس (بعتاب)**:** يا ليونيد أندرييفتش، ألا تخاف الله؟ متى ستنام؟

جايف: حالًا، حالًا. اذهب أنت يا فيرس. لا بأس، سأنزع ملابسي بنفسي. طيب يا بناتي، إلى النوم ... التفاصيل غدًا، أما الآن فاذهبا لتناما. (يُقبِّل آنيا وفاريا) أنا من جيل الثمانينيات ... لا يُمتدحون هذه الفترة — ومع ذلك أستطيع القول بأنني عانيت الكثير في حياتي بسبب المعتقدات — ليس صدفةً أن الفلاحين يحبونني. ينبغي أن نعرف الفلاح! ينبغي أن نعرف من أي ...

آنيا: عدتَ ثانية يا خالي!

فاريا: اسكت يا خالي أرجوك.

فيرس (بغضب)**:** ليونيد أندرييفتش!

جايف: خلاص، خلاص ... ناموا. من الجنبين إلى الوسط! اضرب في المليان ... (ينصرف، يتبعه فيرس بخطوات قصيرة.)

آنيا: أنا الآن مطمئنة. لا أرغب في الذهاب إلى ياروسلافل، أنا لا أحب جدتي، ولكني مطمئنة. شكرًا لخالي.

(تجلس.)

فاريا: ينبغي أن ننام. سأذهب. في غيابك وقعت مشاحنة ففي غرفة الخدم القديمة، كما تعلمين، يعيش الخدم الشيوخ فقط يفيموشكا، وبوليا ويفستيجني ثم كارب. وأخذوا يسمحون لأفَّاكين ما بالمبيت عندهم، وسكتُّ. ولكني سمعت أنهم أطلقوا إشاعة، بأنني أمرت بإطعامهم حمصًا فقط. من شدة بخلي يعني ... كل هذا من فعل يفستيجني ... ليكن، قلت لنفسي، طالما هكذا، فمهلًا. ناديت يفستيجني ... (تتثاءب) وجاءني ... فقلت له: كيف هذا يا يفستيجني؟ يا لك من أحمق ... (تنظر إلى آنيا) آنيا!

(صمت.)

نامت! ... (تتأبط ذراع آنيا) لنذهب إلى الفراش ... هيا! ... (تسحبها) عصفورتي نامت! هيا بنا.

(تسيران.)

(بعيدًا وراء البستان يعزف راعٍ على مزماره، تروفيموف يمر عبر الخشبة، وإذ يرى فاريا وآنيا يتوقف.)

فاريا: هس ... إنها نائمة ... هيا يا حبيبتي.

آنيا (بصوتٍ خافت، شبه حالمة)**:** كم أنا متعبة ... ترن الأجراس، وترن. خالي ... الرقيق ... وماما وخالي ...

فاريا: هيا يا حبيبتي، هيا ... (تنصرف إلى غرفة آنيا.)

تروفيموف (بتأثر)**:** يا شمسي! يا ربيعي!

(ستار)

الفصل الثاني

(حقل. مصلى قديم متهالك مهجور منذ زمن بعيد بجوار بئر، وأحجار كبيرة كانت فيما مضى، على ما يبدو، شواهد قبور، وأريكة قديمة. يبدو جزء من الطريق إلى ضيعة جايف. إلى اليمين تلوح أشجار حور باسقة مظلمة، ومن هناك يبدأ بستان الكرز. في البعيد صف من أعمدة البرق، وبعيدًا بعيدًا، عند الأفق، تلوح بصورة مبهمة ملامح مدينة كبيرة، لا تُرى إلا في الجو الصحو جدًّا. قريبًا ستغرب الشمس. شارلوتا وياشا ودونياشا جالسون على الأريكة. يبيخودوف يقف بجوارهم ويعزف على الجيتار. الجميع مستغرقون في التفكير، وشارلوتا ترتدي «كسكتة» قديمة. تنزع بندقية الصيد عن كتفها وتُسوي إبزيم الحزام.)

شارلوتا (بتفكير)**:** ليست لدَي بطاقة شخصية حقيقية، فلا أعرف كم عمري، ويُخيَّل لي دائمًا أنني شابة. عندما كنت صبية صغيرة كان أبي وأمي يطوفان بالأسواق ويقدمان عروضًا ممتازة. أما أنا فكنت ألعب Salto-Mortale[١] وغيرها من الألعاب. ولما مات بابا وماما أخذتني سيدة ألمانية إليها وبدأت تعلمني. حسنًا. ثم كبرت، ثم بدأت أعمل مربية أطفال. ولكن من أين أنا، ومَن أنا؟ لا أعرف ... مَن هما والداي؟ ربما لم يكن زواجهما شرعيًّا ... لا أدري (تستخرج من جيبها خيارة وتأكل) لا أدري شيئًا.

(صمت.)

[١] القفزة المميتة (بالإيطالية)، قفزة بهلوانية جريئة. (المعرب)

كم أود أن أتحدث، لكن مع مَن؟ ليس لدَي أحد.

يبيخودوف (يعزف على الجيتار ويُغني): «أنا لا أبالي بالحياة، وصخبها، لا فرق بين عداوة وهيام ...» ما أجمل العزف على المندولين!

دونياشا: هذا جيتار وليس مندولين (تنظر في مرآة صغيرة وتضع البودرة).

يبيخودوف: للعاشق الولهان هذا مندولين ... (يغني) «ما دام حبي يستظل بحبها، وغرام قلبي يلتقي بغرام ...»

(ياشا يرد عليه.)

شارلوتا: ما أفظع غناء هؤلاء ... أفٍّ ... كعواء الذئاب.

دونياشا (لياشا)**:** بالفعل، يا لها من سعادة أن تسافر إلى الخارج.

ياشا: نعم، طبعًا. لا يسعني إلا أن أوافقك (يتثاءب ثم يشعل سيجارًا).

يبيخودوف: معلوم. كل شيء في الخارج تمام التمام من زمان.

ياشا: طبعًا.

يبيخودوف: أنا شخص مثقف، أقرأ شتَّى الكتب الرائعة، لكني لا أستطيع أبدًا أن أحدد الاتجاه، وما الذي أريده في الواقع، وهل أعيش أم أنتحر في الواقع، ومع ذلك أحمل معي دائمًا مسدسًا ... ها هو ... (يريه المسدس.)

شارلوتا: خلاص. أنا ذاهبة (تتقلَّد البندقية) أنت يا يبيخودوف شخص ذكي جدًّا ورهيب جدًّا، لا بد أن النساء يحببنك بجنون. بررر! (تسير) هؤلاء الأذكياء أغبياء كلهم، ولا يوجد من أتحدث معه ... وحدي، دائمًا وحدي، وليس عندي أحد و... مَن أنا؟ لماذا أنا؟ لا أحد يدري (تنصرف على مهل).

يبيخودوف: في الواقع، ودون التطرق إلى جوانب أخرى، ينبغي أن أعرب عن نفسي، فأقول، بالمناسبة، إن القدَر يعاملني دون رحمة، كالعاصفة مع مركب صغير. وبافتراض أنني مخطئ، فلماذا إذن، استيقظت صباح اليوم، مثلًا، فإذا على صدري عنكبوت رهيب الحجم ... بهذا القدر؟ (يشير بكلتا يديه). وكذلك، تأخذ الكفاس لكي تشرب، فإذا بك تجد فيه شيئًا ما غير لائق إلى أقصى حد؛ صرصارًا مثلًا.

(صمت.)

هل قرأت بوكل؟[٢]

(صمت.)

أريد أن أزعجك يا أفدوتيا فيودوروفنا في كلمتين.

دونياشا: تكلم.

يبيخودوف: بودي لو بقينا على انفراد ... (يتنهد.)

دونياشا (بخجل)**:** حسنًا ... لكن أحضر لي أولًا إزاري ... إنه بجوار الدولاب ... الجو هنا رطب قليلًا.

يبيخودوف: حسنًا ... سأحضره ... الآن أعرف ماذا أفعل بالمسدس.

(يتناول الجيتار وينصرف مداعبًا الأوتار.)

ياشا: هذا العشرون مصيبة! شخص غبي، فيما بيننا.

(يتثاءب.)

دونياشا: قد ينتحر، لا قدَّر الله.

(صمت.)

أصبحت قلقة، أنزعج دائمًا. أخذوني طفلة صغيرة لدى السادة، نسيت حياة البسطاء وها هي يداي بيضاوان بيضاوان، كيدي السيدة. أصبحت رقيقة، مهذبة، نبيلة، أخاف كل شيء ... كم أخاف. لو خَدَعتَني يا ياشا، فلن أعرف ماذا سيحدث لأعصابي.

ياشا (يُقبِّلها)**:** يا للتفاحة! بالطبع على كل فتاة أن تحافظ على نفسها، أنا لا أطيق الفتاة السيئة السلوك.

دونياشا: أنا أحببتك بعنف، أنت متعلم، تستطيع أن تتحدث في أي موضوع.

(صمت.)

[٢] هنري توماس بوكل (١٨٢١–١٨٦٢م) مؤرخ وعالم اجتماع إنجليزي. (المعرب)

ياشا (يتثاءب)**:** نعم … أنا رأيي: إذا كانت الفتاة تحب أحدًا، فمعنى هذا أنها بلا أخلاق.

(صمت.)

ما ألذ أن تدخن سيجارًا في الهواء الطلق … (يصيخ السمع) أحدهم قادم … إنهم السادة.

(دونياشا تعانقه باندفاع.)

عودي إلى البيت، كأنكِ كنتِ تستحمين في النهر، اذهبي من هذا الطريق، وإلا قابلوك وظنوا أني كنت معكِ، في موعد غرامي. أنا لا أطيق ذلك.

دونياشا (تسعل بصوتٍ خافت)**:** أصبت بصداع من السيجار.

(تنصرف.)

(ياشا يبقى جالسًا بجوار المصلى. تدخل لوبوف أندرييفنا. وجايف ولوباخين.)

لوباخين: ينبغي حسم الأمر، ليس هناك وقت. السؤال بسيط جدًّا. هل توافقون على تأجير الأرض لإقامة الفيلات؟ أجيبوا بكلمة واحدة. نعم، لا. كلمة واحدة فقط!

لوبوف أندرييفنا: من الذي يدخن هنا هذه السيجارات الفظيعة؟

(تجلس.)

جايف: ها قد مدوا السكة الحديد فأصبح كل شيء سهلًا (يجلس) سافرنا إلى المدينة وأفطرنا … الصفراء إلى الوسط! بودي أن أذهب إلى البيت أولًا، لألعب دورًا.

لوبوف أندرييفنا: في الوقت متسع.

لوباخين: كلمة واحدة فقط! (ضارعًا) أعطوني ردًّا!

جايف (متثائبًا)**:** مَن؟

لوبوف أندرييفنا (تنظر في حافظة نقودها)**:** بالأمس كانت النقود كثيرة، واليوم قليلة للغاية. مسكينة فاريا، تطعم الجميع حساء اللبن توفيرًا، ولا تقدم للخدم العجائز سوى الحمص، وأنا أبذر بلا معنى. (تسقط منها الحافظة، تتبعثر النقود الذهبية) أوه! تبعثرت!

(تشعر بالأسى.)

ياشا: بعد إذنك، سأجمعها حالًا ... (يجمع النقود.)

لوبوف أندرييفنا: لو تكرمت يا ياشا. ما الذي جعلني أسافر للإفطار؟ ما أحقر مطعمكم بموسيقاه، والمفارش تفوح منها رائحة الصابون ... لماذا تُفرِط في الشراب يا لونيا؟ لماذا تُفرِط في الأكل؟ لماذا تُفرِط في الكلام إلى هذا الحد؟ اليوم تحدَّثت في المطعم مرة أخرى كثيرًا وبلا مناسبة. عن السبعينيات، عن أدباء الانحطاط. ولِمَن؟ لخدم المطعم تتحدث عن أدباء الانحطاط!

لوباخين: نعم.

جايف (يشيح بيده)**:** لا أمل في إصلاحي، هذا واضح ... (لياشا بعصبية) ما هذا؟ ما لك تدور دومًا أمام عينيَّ؟

ياشا (يضحك)**:** لا أستطيع أن أسمع صوتك دون أن أضحك.

جايف (لأخته)**:** إما أنا، وإما هو.

لوبوف أندرييفنا: اذهب، ياشا، انصرف.

ياشا (يعطي الحافظة للوبوف أندرييفنا)**:** سأذهب حالًا. (يمنع نفسه من الضحك بالكاد) حالًا ... (ينصرف.)

لوباخين: الثري ديريجانوف ينوي شراء ضيعتكم. يقال إنه سيحضر المزاد بنفسه.

لوبوف أندرييفنا: وأين سمعت ذلك؟

لوباخين: في المدينة يتحدثون.

جايف: العمة في ياروسلافل وعدَت بإرسال نقود، ولكن متى، وكم؟ لا نعرف.

لوباخين: كم سترسل؟ مائة ألف؟ مائتي ألف؟

لوبوف أندرييفنا: لا ... عشرة أو خمسة عشر ألفًا ... ولها الشكر.

لوباخين: عفوًا يا سادة، ولكني لم أرَ بعدُ أناسًا مستهترين، أناسًا غير عمليين، وغريبين مثلكم. يقال لكم بالروسية إن ضيعتكم ستباع، وأنتم كأنما لا تفهمون.

لوبوف أندرييفنا: وماذا نفعل؟ علمنا، ما العمل؟

لوباخين: كل يوم أعلمكم. كل يوم أقول لكم نفس الشيء؛ لا بد من تأجير بستان الكرز والأرض لبناء الفيلات، لا بد من القيام بذلك الآن، بسرعة، فالمزاد أوشك! افهموا! بمجرد أن تقرروا قرارًا نهائيًّا وبشكل قاطع إقامة الفيلات ستمنحون أي مبلغ تريدون، وهكذا فقد نجوتم.

لوبوف أندرييفنا: الفيلات، والمصطافون ... يا لها من وضاعة، عفوًا.

جايف: أتفق معك تمامًا.

لوباخين: إما سأنتحب، وإما أصرخ، وإما يغمى عليَّ. لا أستطيع! عذبتموني! (لجايف) أنتِ امرأة!

جايف: مَن؟

لوباخين: امرأة! (يهم بالانصراف.)

لوبوف أندرييفنا (بجزع)**:** كلا، لا تذهب. ابقَ يا عزيزي. أرجوك. ربما وجدنا حلًّا ما؟

لوباخين: عن أي حل تبحثين؟

لوبوف أندرييفنا: لا تذهب أرجوك ... الجو معك أكثر مرحًا مع ذلك ...

(صمت.)

طوال الوقت أتوقع شيئًا ما كأنما سينهار السقف علينا.

جايف (مستغرقًا في التفكير)**:** دوبليه إلى الزاوية ... كروازيه إلى الوسط.

لوبوف أندرييفنا: ما أكثر ما ارتكبنا من ذنوب.

لوباخين: أي ذنوب عندك؟

جايف (يضع حبة كراملة في فمه)**:** يقولون إنني بدَّدت ثروتي كلها على الكراملة ... (يضحك.)

لوبوف أندرييفنا: أوه، ذنوبي ... كنت دائمًا أبذر النقود بتهور، كالمجنونة، وتزوجت رجلًا لم يصنع سوى الديون فقط. مات زوجي من الشمبانيا، كان يشرب بفظاعة، ولتعاستي أحببت رجلًا آخر، وعاشرته، وفي هذا الوقت بالذات. كان ذلك أول عقاب — ضربة في الرأس مباشرة — هنا، في النهر ... غرق ابني، فسافرت إلى الخارج، سافرت نهائيًّا لكيلا أعود أبدًا، ولا أرى هذا النهر ... أغمضت عينيَّ، وركضت، وأنا لا أعي شيئًا، وإذا به يتبعني ... بلا رحمة، بفظاظة. اشتريت فيلا قرب منتونا لأنه مَرِض هناك، وطوال ثلاث سنوات لم أذق الراحة نهارًا ولا ليلًا. عذبني المريض، روحي ذبلت ... وفي العام الماضي، عندما بيعت الفيلا سدادًا للديون، سافرت إلى باريس، وهناك نهبني، ثم هجرني، وصاحَبَ أخرى، فحاولت الانتحار ... يا للحماقة، يا للخزي ... وفجأة أحسست بالشوق إلى روسيا، إلى الوطن، إلى ابنتي ... (تمسح دموعها) يا إلهي، يا إلهي الرحمة، اغفر لي ذنوبي! لا

تعاقبني أكثر! (تُخرج من جيبها برقية) تسلمتها اليوم، من باريس ... يرجو الغفران، ويتوسل أن أعود ... (تمزق البرقية) هناك موسيقى تتردد فيما يبدو (تصيخ السمع).

جايف: إنها فرقتنا اليهودية الشهيرة. أتذكرين أربع كمنجات، وفلوت وكونترباس؟

لوبوف أندرييفنا: أما زالت موجودة؟ لو أمكن دعوتها إلينا يومًا ما، لإقامة حفلة.

لوباخين (يصيخ السمع)**:** لا أسمع شيئًا ... (يدندن بصوتٍ خافت) «وبالنقود يُفَرنس الألمان روسيا»، (يضحك) يا لها من مسرحية. رأيتها أمس في المسرح، مضحكة جدًّا.

لوبوف أندرييفنا: لا أظن أنها مضحكة أبدًا. ليس لك أن ترى المسرحيات، بل أن تنظر إلى نفسك أكثر. أيَّ حياة رمادية تعيشون أنتم جميعًا، وما أكثر ما تقولون من أشياء لا لزوم لها.

لوباخين: هذا صحيح. لا بد من القول صراحةً، إن حياتنا حمقاء.

(صمت.)

كان والدي فلاحًا، أبله، لم يكن يفقه شيئًا فلم يُعلِّمني، بل كان يضربني كلما شرب، ودائمًا بالعصا. وفي الواقع فأنا مثله مغفل وأبله. لم أتعلم شيئًا، وخطي فظيع، أكتب كالخنزير، حتى لأشعر بالخزي من الناس.

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى أن تتزوج يا صديقي.

لوباخين: نعم ... هذا صحيح.

لوبوف أندرييفنا: بفتاتنا فاريا. إنها بنت طيبة.

لوباخين: نعم.

لوبوف أندرييفنا: إنها من البسطاء، تعمل طول النهار، والمهم أنها تحبك. ثم إنها تعجبك أنت أيضًا من زمان.

لوباخين: طيب ... لا مانع عندي ... إنها فتاة طيبة.

(صمت.)

جايف: يعرضون عليَّ وظيفة في البنك. بمرتب ستة آلاف في السنة ... هل سمعتِ؟

لوبوف أندرييفنا: أين أنت وهذا؟ اجلس هنا!

(يدخل فيرس. أحضر المعطف.)

فيرس (لجايف)**:** تفضَّل يا سيدي، ارتدِ المعطف، فالجو رطب.

جايف (يرتدي المعطف)**:** كم أضجرتني يا أخي.
فيرس: دعك من هذا ... سافر صباحًا دون أن يقول.

(يتفحصه.)

لوبوف أندرييفنا: كم هَرِمت يا فيرس!
فيرس: أي خدمة؟
لوباخين: تقول إنك هرمت جدًّا!
فيرس: أعيش من زمان. عندما أرادوا أن يزوجوني لم يكن أبوك قد وُلِد بعد ... (يضحك) وعندما أُلغيت القنانة كنت أنا وصيفًا أول. ولم أوافق على إعتاقي، وبقيت لدى السادة.

(صمت.)

أذكر أن الجميع كانوا فرحين، ولكن لماذا؟ لا أحد يعرف.
لوباخين: كانت الأمور حسنة جدًّا في الماضي ... كانوا على الأقل يجلدون.
فيرس (لم يسمع)**:** وكيف لا؟ الفلاحون مع السادة، والسادة مع الفلاحين، أما الآن فتفرق كل شيء، لا تفهم شيئًا.
جايف: اسكت يا فيرس. عليَّ أن أرحل غدًا إلى المدينة. وعدوني بتعريفي بجنرال، يمكن أن يقرض بكمبيالة.
لوباخين: لن تتوصل إلى شيء، ولن تسددوا الدين، أؤكد لكم.
لوبوف أندرييفنا: إنه يهذي. ليس هناك أي جنرالات.

(يدخل تروفيموف وآنيا وفاريا.)

جايف: ها هم أبناؤنا قادمون.
آنيا: ها هي ماما.
لوبوف أندرييفنا (برقة)**:** تعالي، تعالي ... يا أحبائي ... (تضم آنيا وفاريا) آه لو تعلمان كم أحبكما. اجلسا بجواري. ها هنا.

(الجميع يجلسون.)

لوباخين: طالبنا الخالد يسير دائمًا مع الآنسات.

تروفيموف: ليس هذا شأنك.

لوباخين: قريبًا يبلغ الخمسين، ولا يزال بعدُ طالبًا.

تروفيموف: كُفَّ عن مزاحك الأحمق.

لوباخين: يا لك من عجيب، لمَ تغضب؟

تروفيموف: لا تتحرش بي.

لوباخين (يضحك)**:** فلتسمح لي أن أسألك، ما رأيك فيَّ؟

تروفيموف: إنني أفكر هكذا يا يرمولاي أليكسييتش: أنت رجل غني، عما قريب ستصبح مليونيرًا. وكما أن الوحش الكاسر الذي يلتهم كل ما يصادفه في طريقه، هو ضروري في عملية التمثيل الغذائي، فأنت أيضًا ضروري.

(الجميع يضحكون.)

فاريا: الأفضل يا بيتيا أن تُحدثنا عن الكواكب.

لوبوف أندرييفنا: كلا، هيا نواصل حديث الأمس.

تروفيموف: عمَّ تحدثنا؟

جايف: عن الإنسان الأبيِّ.

تروفيموف: تحدثنا بالأمس طويلًا، لكننا لم نتفق على شيء في الإنسان الأبيِّ، بمفهومكم، ثمة شيء غيبي، وربما كنتم على حق من وجهة نظركم، ولكن لو تكلمنا ببساطة، ودون حذلقات، فأي إباء هناك، وأي معنًى له، إذا كان الإنسان مركَّبًا فسيولوجيًّا بطريقة سيئة، وإذا كان، في غالبيته الساحقة فظًّا، غير ذكي، تعيسًا للغاية؟ كفى إعجابًا بالنفس. ينبغي فقط أن نعمل.

جايف: ما الفائدة؟ سنموت.

تروفيموف: من يدري؟ ثم ما معنى «سنموت»؟ ربما كانت لدى الإنسان مائة حاسة، وبالموت تموت فقط الحواس الخمس، المعروفة لنا، أما الخمس والتسعون الباقية، فتظل حية.

لوبوف أندرييفنا: كم أنت ذكي يا بيتيا!

لوباخين (بسخرية)**:** جدًّا!

تروفيموف: البشرية تتقدم وهي تطور قواها. وكل ما هو صعب المنال الآن سيصبح في وقت ما قريبًا، مفهومًا، ينبغي فقط أن نعمل، وأن نساعد بكل قوانا كل من يبحث عن

الحقيقة. عندنا في روسيا، حتى الآن، لا يعمل إلا القليلون جدًّا. أما الغالبية الساحقة من المثقفين الذين أعرفهم فلا يبحثون عن شيء، ولا يفعلون شيئًا، وغير قادرين على العمل بعدُ. يُسمُّون أنفسهم مثقفين ثم يخاطبون الخدم بـ «أنت»، ويعاملون الفلاحين معاملة الحيوانات، ويتعلمون بصورة سيئة، ولا يقرءون أي شيء بجدية، ولا يفعلون شيئًا على الإطلاق، وعن العلم يتحدثون فقط، ولا يفهمون في الفن إلا القليل. والجميع يَبدون جديين، وعلى وجوههم ملامح الصرامة، الجميع لا يتحدثون إلا عما هو هام ويتفلسفون، بينما على مرأى منهم جميعًا يأكل العمال أسوأ طعام، وينامون دون وسائد، ثلاثين أو أربعين شخصًا في الغرفة الواحدة، ومن حولهم البق، والعفونة، والرطوبة، والقذارة الأخلاقية ... ومن الواضح أن كل الأحاديث الجيدة عندنا لا تهدف إلا إلى صرف أنظارنا وأنظار الآخرين. أروني أين هي دُور الحضانة التي يفيضون في الحديث عنها كثيرًا. أين قاعات المطالعة؟ لا تجدها إلا في الروايات فقط، أما في الواقع فلا وجود لها. ليس هناك سوى القذارة والابتذال والهمجية ... أنا أخاف السحنات الجدية جدًّا ولا أحبها، أخاف الأحاديث الجدية. الأفضل أن نصمت!

لوباخين: أتدري؟ أنا أستيقظ قبل الخامسة صباحًا. وأعمل من الصباح إلى المساء. حسنًا، ومعي دائمًا نقود؛ نقودي ونقود الآخرين، وأرى أي أناس من حولي. ينبغي فقط أن تبدأ بعمل ما حتى تدرك كم هم قليلون الأشخاص الشرفاء المستقيمون. وأحيانًا، عندما ينتابني الأرق، أفكر: «يا إلهي، لقد أعطيتنا غابات هائلة، وحقولًا لا تحد، وآفاقًا لا نهائية، ومن المفروض، ونحن نعيش هنا، أن نكون عمالقة بحق ...»

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجةٍ إلى عمالقة ... إنهم جيدون في الحكايات فقط، أما في الواقع فمخيفون.

(في عمق خشبة المسرح يمر يبيخودوف وهو يعزف على الجيتار.)

(بتفكير) يبيخودوف يسير.

آنيا (بتفكير)**:** يبيخودوف يسير.

جايف: الشمس غربت يا سادة.

تروفيموف: نعم.

جايف (بصوتٍ خافت، كأنما يلقي)**:** أيتها الطبيعة الساحرة، أنتِ تتوهجين ببريق خالد، رائعة ولا مبالية، أنتِ التي نسميك أمنا، تجمعين بين الوجود والعدم، أنتِ تعيشين وتدمرين ...

فاريا (بصوتٍ ضارع)**:** خالي!

آنيا: خالي، عدت ثانية!

تروفيموف: الأفضل أن تضرب الصفراء في الوسط دوبليه.

جايف: قد سكت، سكت.

(يجلس الجميع مستغرقين في التفكير. سكون. لا تسمع إلا همهمة فيرس الخافتة. فجأة يتردد صوت بعيد، كأنما من السماء، صوت وتر تمزَّق، حزينًا، متلاشيًا.)

لوبوف أندرييفنا: ما هذا؟

لوباخين: لا أدري. يبدو أن سطلًا وقع بعيدًا في المناجم، ولكن في مكان بعيدٍ جدًّا.

جايف: أو ربما كان طائرًا ما ... مثل مالك الحزين.

تروفيموف: أو بومة.

لوبوف أندرييفنا (تنتفض)**:** أحس بضيق، لست أدري لماذا.

(صمت.)

فيرس: قبيل المصيبة وقع مثل هذا ... صاحت بومة، وأز السماور دون توقف.

جايف: قبيل أي مصيبة؟

فيرس: قبيل إلغاء القنانة.

(صمت.)

لوبوف أندرييفنا: حسنًا يا أصدقاء هيا بنا، المساء حلَّ (لآنيا) أرى دموعًا في عينيكِ ... ماذا بكِ يا بنيتي؟ (تضمها.)

آنيا: هكذا يا ماما، لا شيء.

تروفيموف: أحدهم قادم.

(يظهر عابر سبيل في عمرة بيضاء رثة، يرتدي معطفًا ثملًا قليلًا.)

عابر السبيل: اسمحوا لي أن أسألكم: هل أستطيع الذهاب من هنا إلى المحطة مباشرةً؟

جايف: نعم تستطيع. سِر في هذا الطريق.

عابر السبيل: أشكركم من صميم القلب (يسعل) الطقس رائع ... (يلقي) يا أخي، يا أخي المُعذَّب ... اخرج إلى الفولجا ... أتسمع الأنين؟ (لفاريا) مودموازيل، تصدَّقي على روسي جائع بثلاثين كوبيگا ...

(فاريا تفزع فتصرخ.)

لوباخين (بغضب)**:** قلة الذوق تبقى في حدود الأدب!

لوبوف أندرييفنا (بهلع)**:** خُذ ... هذا لك ... (تبحث في حافظة النقود) ليست هناك فضة ... سيان، خُذ ذهبًا.

عابر السبيل: أشكركم من صميم القلب! (ينصرف.)

(ضحك.)

فاريا (فَزِعة)**:** أنا ذاهبة ... أنا ذاهبة ... آه يا ماما، الخدم لا يجدون ما يأكلونه في البيت، وأنتِ تعطينه ذهبًا.

لوبوف أندرييفنا: ما العمل مع حمقاء مثلي؟ في البيت سأعطيكِ كل ما عندي. يرمولاي أليكسييتش، أقرضني ثانية!

لوباخين: حاضر.

لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة، حان الوقت. لقد خطبناك هنا تمامًا يا فاريا، أهنئك.

فاريا (من خلال الدموع)**:** لا يجوز المزاح بهذا يا أماه.

لوباخين: أوخميليا، اذهبي إلى الدير.

جايف: يداي ترتعشان ... من زمان لم ألعب البلياردو.

لوباخين: أوخميليا، أيتها الحورية، اذكريني في صلواتك![٣]

لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة. العشاء عما قريب.

فاريا: كم أفزعني. قلبي يدق بعنف.

لوباخين: أذكِّركم يا سادة ... في الثاني والعشرين من أغسطس سوف يُباع بستان الكرز. فكروا في ذلك! ... فكروا!

[٣] لوباخين يستشهد بعبارات من مسرحية «هملت» لشكسبير، إلا أنه يُحرِّف اسم «أوفيليا» إلى «أوخميليا». (المعرب)

(ينصرف الجميع ما عدا تروفيموف وآنيا.)

آنيا (ضاحكة): شكرًا لعابر السبيل، أفزع فاريا؛ فأصبحنا وحدنا؟

تروفيموف: فاريا تخشى أن نحب بعضنا بعضًا؛ ولذلك لا تتركنا وحدنا. إنها لا تستطيع بعقلها الضيق أن تفهم أننا أسمى من الحب. أن نتجنب تلك التوافه والأوهام التي تعوقنا عن أن نكون أحرارًا وسعداء ... هذا هو هدف حياتنا ومغزاها. إلى الأمام! إننا نمضي دون هوادة إلى النجم الساطع الذي يضيء في الأفق! إلى الأمام! لا تتخلفوا يا أصدقاء!

آنيا (تشيح بيديها): ما أروع كلماتك!

(صمت.)

الجو هنا ساحر اليوم!

تروفيموف: نعم، الجو مدهش.

آنيا: ماذا فعلت بي يا بيتيا حتى لم أعد أحب بستان الكرز كما في السابق؟ كنت أحبه برقة، وكان يخيل إليَّ أنه لا يوجد في الأرض مكان أفضل من بستاننا.

تروفيموف: روسيا كلها بستاننا. الأرض كبيرة ورائعة، وفيها الكثير من الأماكن الساحرة.

(صمت.)

فكِّري يا آنيا ... جدك، وأبو جدك، وكل أسلافك كانوا إقطاعيين، يملكون النفوس الحية ... انظري إلى البستان، ألا ترين مخلوقات بشرية تُحدِّق فيكِ من كل شجرة كرز، من كل ورقة، من كل جذعٍ؟ ألا تسمعين أصواتهم؟ إنَّ تملك النفوس الحية هو الذي أفسدكم جميعًا، مَن عاش قبلًا، ومَن يعيش الآن، حتى إنكم لا تلاحظون، لا أمكِ، ولا أنتِ، ولا خالكِ، إنكم تعيشون بالدَّين، على حساب الغير، على حساب أولئك الأشخاص الذين لا تسمحون لهم بتجاوز مدخل بيتكم ... لقد تخلَّفنا مائتي عام على الأقل، وليس لدينا بعدُ أي شيء على الإطلاق، ليس لدينا موقف واضح من الماضي، إننا نتفلسف فقط، ونشكو من الوحشة أو نشرب الفودكا. ولكن من الواضح تمامًا أنه لكي نبدأ الحياة في الحاضر، علينا أولًا أن نُكفِّر عن ماضينا، أن نفرغ منه، ولن يمكن التكفير عنه إلا بالعذاب وحده، بالكد الفائق والمستمر فحسب. افهمي هذا يا آنيا.

آنيا: البيت الذي نسكنه لم يعد بيتنا من زمان، وسأرحل عنه، أعدك بذلك.

تروفيموف: إذا كانت مفاتيح الكرار لديكِ، فألقِ بها في البئر وارحلي. كوني حرة كالريح.

آنيا (بإعجاب)**:** ما أروع ما قلت!

تروفيموف: صدقيني يا آنيا، صدقيني! أنا لم أبلغ الثلاثين بعدُ، ما زلت شابًّا، ما زلت طالبًا، ولكن كم قاسيت! كل شتاءٍ أجوع، وأمرض، وأصبح مهمومًا، فقيرًا كشحاذ و… ما أكثر ما ألقت بي المقادير، وكم طُفت بأماكن! ولكن روحي ظلت دائمًا، في كل لحظةٍ ليلًا ونهارًا، مفعمة بالهواجس الغامضة. إنني أشعر باقتراب السعادة يا آنيا، ها أنا ذا أراها …

آنيا (مستغرقة في التفكير)**:** طلع القمر.

(يسمع عزف يبيخودوف على الجيتار، نفس اللحن الحزين يطلع القمر. فاريا تبحث عن آنيا قرب أشجار الحور وتنادي: «آنيا، أين أنت؟»)

تروفيموف: نعم، طلع القمر.

(صمت.)

ها هي السعادة، ها هي تسير، تقترب أكثر فأكثر، إنني أسمع خطواتها. فإذا لم نرها، لم نخبرها، لا يهم. سيراها غيرنا!

(صوت فاريا: «آنيا، أين أنت؟»)

فاريا هذه مرة أخرى! (بغضب) يا للصفاقة!

آنيا: ما العمل؟ هيا بنا إلى النهر. المكان هناك لطيف.

تروفيموف: هيا بنا.

(يذهبان.)

صوت فاريا: «آنيا! آنيا!»

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة جلوس يفصلها عن الصالة قوس. النجفة مضاءة. يُسمع في المدخل عزف الفرقة اليهودية التي ورد ذكرها في الفصل الثاني. الوقت مساءً. في الصالة يرقصون grand-rond، صوت سيميونوف-بيشيك Promenade à une Paire! يخرجون من الصالة إلى غرفة الجلوس أزواجًا؛ الزوج الأول بيشيك وشارلوتا إيفانوفنا، الزوج الثاني تروفيموف ولوبوف أندرييفنا، الزوج الثالث آنيا مع موظف بريد، الزوج الرابع فاريا مع ناظر المحطة ... إلخ. فاريا تبكي بصوتٍ خافت، وتمسح دموعها في أثناء الرقص. في الزوج الأخير دونياشا. يسيرون عبر غرفة الجلوس، بيشيك يصيح: !Grand-rond, balancez وLes cavaliérs à genoux et remerciez vos dames![1] فيرس مرتديًا الفراك يحمل المياه المعدنية على صينية. يدخل غرفة الجلوس بيشيك وتروفيموف.)

بيشيك: أنا ممتلئ الدم، أُصِبتُ بالسكتة مرتين، والرقص صعب عليَّ، لكن، كما يقال، بين كلاب الصيد إذا لم تنبح فحرِّك ذيلك. إنني قوي كحصان. المرحوم والدي، كان مازحًا، عليه الرحمة، كان يدَّعي بخصوص أصلنا أن سلالة سيميونوف بيشيك العريقة تنحدر، حسبما قال، من ذلك الحصان الذي عيَّنه كاليجولا في مجلس الشيوخ[2] ... (يجلس) لكن

---

[1] أسماء حركات رقصة. Grand-rond (الحلقة الكبيرة) بالفرنسية. (المعرب)

[2] كاليجولا: إمبراطور روماني (١٢–٤١ بعد الميلاد) اشتهر بقسوته وتبذيره. أراد أن يظهر احتقاره لمجلس شيوخ روما فعيَّن حصانه قنصلًا. (المعرب)

المصيبة أني مفلس! الكلب الجائع لا يحلم إلا باللحم ... (ينعس ويشخر، ويستيقظ على الفور) وهكذا أنا ... لا أستطيع أن أتكلم إلا عن النقود.

تروفيموف: بالفعل هناك في هيئتك شيء حصاني.

بيشيك: لا بأس ... الحصان حيوان طيب ... الحصان يمكن بيعه.

(يسمع صوت اللعب بالبلياردو في الغرفة المجاورة. تظهر فاريا في الصالة تحت القوس.)

تروفيموف (يغيظها)**:** مدام لوباخينا! مدام لوباخينا!

فاريا (بغضب)**:** السيد الباهت!

تروفيموف: نعم، أنا سيد باهت، وأفخر بذلك!

فاريا (بتفكير مرير)**:** ها قد استأجروا العازفين، فمن أين ندفع لهم؟ (تنصرف.)

تروفيموف (لبيشيك)**:** لو أن المجهود الذي بذلته طوال حياتك بحثًا عن النقود لسداد فوائد الديون، كرَّسته لشيء آخر، لاستطعت غالبًا في نهاية الأمر أن تقلب الأرض.

بيشيك: نيتشه ... من أعظم الفلاسفة وأشهرهم ... رجل جبار العقل ... يدَّعي في مؤلفاته أنه يجوز صنع النقود المزيفة.

تروفيموف: وهل قرأت نيتشه؟

بيشيك: يعني ... داشنكا أخبرتني. أنا الآن في وضع لا يبقى لي فيه إلا أن أزيف النقود ... عليَّ أن أسدد بعد غدٍ ثلاثمائة وعشرة روبلات ... دبرت منها مائة وثلاثين ... (يتحسس جيوبه، يقول بقلق) النقود ضاعت! ضيعت النقود! (من خلال الدموع) أين النقود؟ (بفرح) ها هي، خلف البطانة ... أوه، لقد عرقت ...

(تدخل لوبوف أندرييفنا وشارلوتا إيفانوفنا.)

لوبوف أندرييفنا (تدندن رقصة ليزجنكا)[٣]**:** لماذا تأخر ليونيد إلى هذا الحد؟ ماذا يفعل في المدينة؟ (لدونياشا) دونياشا، قدِّمي الشاي للعازفين.

تروفيموف: يبدو أن المزاد لم يتم في الغالب.

---

[٣] رقصة قوقازية سريعة الإيقاع. (المعرب)

لوبوف أندرييفنا: جاء الموسيقيون في غير وقتهم والحفل أقمناه في غير وقته ... لا بأس ... (تجلس وتدندن بصوتٍ خافت.)

شارلوتا (تقدم لبيشيك شدة أوراق لعب)**:** خذ شدة الأوراق. اختر لنفسك ورقة سرًّا.

بيشيك: اخترت.

شارلوتا: فنط الشدة إذن. عظيم جدًّا. أعطها لي يا سيدي العزيز بيشيك. Ein, zwei, drei![٤] والآن ابحث عنها في جيب سترتك.

بيشيك (يستخرج الورقة من جيبه)**:** الثمانية البستوني، بالضبط! (مندهشًا) يا سلام!

شارلوتا (تضع الشدة على راحتها، لتروفيموف)**:** قل بسرعة، أي ورقة في الأعلى؟

تروفيموف: حسنًا ... لنقل، البنت البستوني.

شارلوتا: بالضبط! (لبيشيك) هه؟ أي ورقة في الأعلى؟

بيشيك: الآس الكوبة.

شارلوتا: بالضبط! (تضرب على راحتها فتختفي شدة الأوراق) ما أجمل الجو اليوم!

(يرد عليها صوت نسائي غامض، كأنما من تحت الأرض: «أوه، نعم يا سيدتي، الطقس رائع».)

ما أجملك يا مثالي الأعلى!

الصوت: وأنتِ يا سيدتي أعجبتني جدًّا.

ناظر المحطة (مصفقًا)**:** السيدة المتكلمة من بطنها، برافو!

بيشيك (مندهشًا)**:** يا سلام! شارلوتا إيفانوفنا الساحرة ... أنا وقعت في حبك.

شارلوتا: وقعت في حبي؟ (تهزُّ كتفيها) وهل أنت قادر على الحب؟ Guter Mensch, aber Schlechter Musikant.[٥]

تروفيموف (يربت على كتف بيشيك)**:** يا لك من حصان.

شارلوتا: أرجو الانتباه، نمرة أخرى (تناول حرامًا من على الكرسي) ها هو حرام جيد جدًّا، أريد أن أبيعه ... (تنفضه) ألا يرغب أحدكم أن يشتريه؟

---

[٤] واحد، اثنان، ثلاثة. بالألمانية في الأصل.

[٥] رجل طيب ولكن موسيقار سيئ. بالألمانية في الأصل.

بيشيك (مندهشًا)**:** يا سلام!

شارلوتا: !Ein, zwei, drei (ترفع الحرام المدلى بسرعة. خلف الحرام تقف آنيا. تحيي بانحناءة، وتجري نحو أمها فتعانقها ثم تعود إلى الصالة ركضًا يصاحبها إعجاب الجميع).

لوبوف أندرييفنا (مصفقة)**:** برافو، برافو!

شارلوتا: ونمرة أخرى !Ein, zwei, drei (ترفع الحرام. خلف الحرام تقف فاريا وهي تحيي بانحناءة).

بيشيك (مندهشًا)**:** يا سلام!

شارلوتا: خلاص! (تلقي بالحرام على بيشيك، وتحيي بانحناءة، وتركض إلى الصالة.)

بيشيك (يسرع وراءها)**:** العفريتة ... أرأيتم؟ أرأيتم؟ (يخرج.)

لوبوف أندرييفنا: ليونيد لم يعد للآن. ما الذي يفعله في المدينة كل هذه المدة؟ لا أفهم! لقد انتهى كل شيء هناك، والضيعة بيعت. أو لم يُجرَ المزاد، فلماذا يجعلني أتخبط في الجهل طول هذه المدة؟

فاريا (تحاول طمأنتها)**:** خالي اشتراها، أنا واثقة.

تروفيموف (باستهزاء)**:** نعم.

فاريا: الجدة أرسلت له توكيلًا ليشتري باسمها مع تحويل الديون إليها. فعلت هذا من أجل آنيا. وأنا واثقة، إن شاء الله، خالي سيشتري الضيعة.

لوبوف أندرييفنا: الجدة في ياروسلافل أرسلت خمسة عشر ألفًا لشراء الضيعة باسمها، فهي لا تثق بنا، ولكن هذا المبلغ لا يكفي حتى لسداد الفوائد. (تغطي وجهها بيديها) مصيري يتقرر اليوم، مصيري ...

تروفيموف (يغيظ فاريا)**:** مدام لوباخينا!

فاريا (بغضب)**:** الطالب الأبدي! طردوك مرتين من الجامعة.

لوبوف أندرييفنا: ما لكِ تغضبين يا فاريا؟ لأنه يغيظك بلوباخين، وماذا في ذلك؟ إذا شئت فتزوجيه، إنه شخص طيب، طريف، وإذا لم تشائي فلا تتزوجيه لا أحد يرغمك يا روحي.

فاريا: أنا أنظر إلى هذه المسألة بجدية يا ماما، وإذا شئت الصراحة. فإنه رجل طيب، يعجبني.

لوبوف أندرييفنا: إذن تزوجيه. فيمَ الانتظار؟ لست أفهم!

فاريا: ماما، لا يمكن أن أتقدم أنا لخطبته. منذ سنتين والجميع يحدثونني عنه، الجميع ولكنه إما يسكت وإما يمزح. أنا فاهمة، إنه يجمع الثروة، مشغول بعمله عني، لا وقت عنده. آه لو معي نقود، ولو قليلًا، ولو مائة روبل، لتركت كل شيء ورحلت بعيدًا. لدخلت الدير.

تروفيموف: يا للجلال!

فاريا (لتروفيموف)**:** على الطالب أن يكون ذكيًّا! (بنبرة ناعمة، وهي تبكي) كم أصبحت قبيحًا يا بيتيا، كم هرمت! (للوبوف أندرييفنا، وقد كفت عن البكاء) لكنني لا أستطيع البقاء بلا عمل يا ماما ... يلزمني في كل لحظة أن أعمل شيئًا ما.

(يدخل ياشا.)

ياشا (لا يكاد يقوى على كتم ضحكه)**:** يبيخودوف كسر عصا البلياردو! (ينصرف.)

فاريا: ولماذا يبيخودوف هنا؟ مَن سمح له بلعب البلياردو؟

لا أفهم هؤلاء الناس ... (تنصرف.)

لوبوف أندرييفنا: لا تغظها يا بيتيا، ألا ترى؟ يكفيها ما هي فيه من هم.

تروفيموف: إنها مجتهدة جدًّا، تحشر أنفها فيما لا يخصها. طوال الصيف لم تتركنا لحظةً، لا أنا ولا آنيا، كانت تخشى أن تنشأ بيننا علاقة غرامية. ما شأنها؟ ثم إنه لم يبدر مني شيء، إنني جد بعيد عن الابتذال. نحن أسمى من الحب!

لوبوف أندرييفنا: أما أنا، فالظاهر، أدنى من الحب. (في قلق شديد) لماذا تأخر ليونيد؟ لو أعرف فقط هل بيعت الضيعة أم لا. المصيبة تبدو لي غير محتملة إلى درجة أنني لا أعرف حتى كيف أفكر، عقلي يتشتت ... قد أصرخ الآن ... قد أرتكب حماقة. أنقذني يا بيتيا. قل شيئًا، قل.

تروفيموف: أليس سيان إن بيعت الضيعة اليوم، أو لم تُبَع؟ لقد انتهى أمرها من زمان، ولا عودة إلى الوراء، اندثر الدرب. اطمئني يا عزيزتي. لا داعي. لا داعي لأن تخدعي نفسك، ينبغي، ولو مرة في العمر، أن تواجهي الحقيقة مباشرة.

لوبوف أندرييفنا: أي حقيقةً؟ أنت ترى أين الحقيقة وأين الكذب، ولكني لا أرى شيئًا، كأنما فقدت بصري. أنت تحل جميع المشاكل الهامة بجرأة، ولكن قُل لي يا عزيزي، ألا يرجع ذلك إلى كونك شابًّا، وإلى أنك لم تعانِ مشكلة من مشاكلك هذه؟ أنت تتطلع إلى الأمام بجرأة، أفلا يرجع ذلك إلى أنك لا ترى ولا تتوقع أي شيء رهيب، إذ إن الحياة ما زالت

خافية عن عينيك الشابتين؟ أنت أجرأ، وأشرف، وأعمق منا، ولكن أمعن النظر، كن سمحًا ولو قدرَ أنملة وأشفق عليَّ. أنا ولدت هنا، وهنا عاش أبي وأمي، وجدي، أنا أحب هذا البيت، وبدون بستان الكرز لا أفهم معنى لحياتي، وإذا كان لا بد من بيع البستان، فلتبيعوني معه ... (تعانق تروفيموف وتُقبِّله في جبينه) وابني غرق هنا ... (تبكي) أشفق عليَّ، أيها الرجل الطيب الخيِّر.

تروفيموف: أنتِ تعلمين، أنا متعاطف من كل قلبي.

لوبوف أندرييفنا: لكن ينبغي قول هذا بصورة أخرى ... (تُخرج منديلها فتسقط برقية على الأرض) كم أشعر اليوم بانقباض نفسي، أنت لا تستطيع أن تتصور. هنا بالنسبة لي صخب، وروحي ترتجف من كل صوت، بدني كله يرتجف، لكني لا أستطيع الذهاب إلى غرفتي، أخاف من البقاء وحدي في السكون. لا تقسُ في حكمك عليَّ يا بيتيا ... إنني أحبك كابني. وكان من الممكن أن أزوجك آنيا بكل سرور، أقسم لك، ولكن ينبغي يا عزيزي أن تدرس، ينبغي أن تُنهي الجامعة. إنك لا تفعل شيئًا، والمقادير تلقي بك من مكان إلى آخر، ما أغرب هذا ... أليس كذلك؟ نعم؟ ثم ينبغي أن تفعل شيئًا بلحيتك؛ لكي تنمو بصورة ما ... (تضحك) أنت مضحك!

تروفيموف (يرفع البرقية)**:** أنا لا أريد أن أكون جميلًا.

لوبوف أندرييفنا: هذه برقية من باريس. كل يوم تصلني برقيات. أمس، واليوم. هذا الرجل المتوحش مَرِض ثانيةً، ساءت حالته ثانيةً ... يرجو أن أسامحه، يتوسل أن أذهب إليه، وفي الحقيقة كان ينبغي عليَّ أن أسافر إلى باريس؛ لكي أكون بجواره. إن وجهك صارم يا بيتيا، ولكن ما العمل يا عزيزي؟ ماذا أفعل؟ إنه مريض، وحيد، تعيس، فمن سيعنى به هناك؟ من يحميه من الأخطاء؟ من يقدم له الدواء في أوانه؟ وما فائدة الكتمان أو السكوت؟ إنني أحبه، هذا واضح. أحبه، أحبه ... إنه حجر في عنقي، يشدني معه إلى القاع، ولكني أحب هذا الحجر، ولا أقوى على العيش بدونه. (تضغط على يد تروفيموف) لا تسئ بي الظن يا بيتيا، لا تقل لي شيئًا، لا تقل.

تروفيموف (من خلال الدموع)**:** اغفر لي صراحتي، بالله عليك، ولكنه نهبك!

لوبوف أندرييفنا: كلا، كلا، كلا، لا تتكلم هكذا ... (تسد أذنيها.)

تروفيموف: ولكنه وغدٌ، أنتِ وحدكِ لا تعرفين هذا! وغدٌ حقير، تافه.

لوبوف أندرييفنا (مغضبة ولكن بضبط أعصاب)**:** سنك ست وعشرون أو سبع وعشرون سنة، وما زلت تلميذًا في السنة الثانية!

تروفيموف: فليكن!

لوبوف أندرييفنا: ينبغي أن تكون رجلًا، في سنك ينبغي أن تفهم مَن يحب. وينبغي أن تحب بنفسك ... ينبغي أن تعشق! (بغضب) نعم، نعم! وليس في روحك طهارة بل تظاهر تافه بالطهر. أنت غريب، مضحك، مسخ ...

تروفيموف (مرتاعًا)**:** ماذا تقول؟

لوبوف أندرييفنا: «أنا أسمى من الحب!»؟ لست أسمى من الحب، بل أنت ببساطة، كما يقول فيرس، مغفل. شاب في سنك وليست لديه عشيقة!

تروفيموف (مرتاعًا)**:** هذا فظيع! ماذا تقول؟

(يسير بسرعة إلى الصالة وقد وضع رأسه بين يديه.)

هذا فظيع ... لا أستطيع، سأرحل ... (ينصرف ويعود فورًا) كل شيء انتهى بيننا! (ينصرف إلى المدخل.)

لوبوف أندرييفنا (تصرخ في أثره)**:** بيتيا، انتظر! يا لك من مضحك، أنا كنت أمزح! بيتيا!

(يُسمع وقع خطوات شخصٍ ما سريعة على الدرَج عند المدخل، ثم يسقط فجأة بدوي. آنيا وفاريا تصرخان، وعلى الفور يسمع ضحكهما.)

ماذا هناك؟

(تدخل آنيا راكضة.)

آنيا (ضاحكة)**:** بيتيا سقط من على الدرَج! (تنصرف ركضًا.)

لوبوف أندرييفنا: يا له من غريب الأطوار بيتيا هذا.

(ناظر المحطة يقف وسط الصالة، ويقرأ قصيدة «الخاطئة» لأليكسي تولستوي.[٦] الحاضرون يصغون إليه، ولكن ما إن يقرأ بضعة أبيات حتى تتناهى من المدخل أنغام الفالس فتنقطع القراءة. الجميع يرقصون. يمر من المدخل تروفيموف وآنيا وفاريا ولوبوف أندرييفنا.)

---

[٦] أليكسي تولستوي (١٨١٧–١٨٧٥م) شاعر روسي، اشتهرت قصيدته «الخاطئة» عن المرأة الضالة التي غفر لها المسيح ذنوبها. (المعرب)

يا بيتيا، أيها الروح الطاهرة ... أرجو المغفرة ... هيا بنا نرقص (ترقص مع بيتيا).

(آنيا وفاريا ترقصان، يدخل فيرس، يضع عصاه بجوار الباب الجانبي. ياشا أيضًا يدخل من غرفة الجلوس وينظر إلى الراقصين.)

ياشا: ماذا يا جدي؟

فيرس: أشعر بوعكة. في الماضي كان يرقص في حفلاتنا الجنرالات والبارونات والأميرالات، واليوم ندعو موظف البريد وناظر المحطة، وحتى هؤلاء يأتون على مضض. ضعفت قواي. السيد المرحوم، الجد، كان يُداوي الجميع بالشمع الأحمر، من كل الأمراض. وأنا أتناول الشمع الأحمر كل يوم، منذ حوالي عشرين سنة، وربما أكثر. ربما ما زلت حيًّا بسببه.

ياشا: أضجرتني يا جدي (يتثاءب) إن شاء الله تفطس بسرعة.

فيرس: إخص ... مغفل! (يدمدم.)

(تروفيموف ولوبوف أندرييفنا يرقصان في الصالة، ثم في غرفة الجلوس.)

لوبوف أندرييفنا: Merci، سأجلس ... (تجلس) تعبت.

(تدخل آنيا.)

آنيا (بانفعال)**:** هناك رجل في المطبخ قال الآن إن بستان الكرز قد بيع اليوم.

لوبوف أندرييفنا: لَمَن بيع؟

آنيا: لم يقل لَمَن. لقد ذهب (تراقص تروفيموف، كلاهما يبتعد إلى الصالة).

ياشا: شيخ، ما هو الذي يحدث هناك؟ شخص غريب.

فيرس: وليونيد أندرييتش لم يعد بعدُ. ارتدى معطفًا خفيفًا، معطف الخريف، في أي لحظةٍ قد يُصاب بالبرد، شباب طائش!

لوبوف أندرييفنا: سأموت الآن. اذهب، ياشا، واعرف لَمَن بيع.

ياشا: لكن العجوز ذهب منذ وقت طويل (يضحك).

لوبوف أندرييفنا (بأسى خفيف)**:** وماذا يُضحكك؟ ما الذي يسرُّك؟

ياشا: يبيخودوف مضحك جدًّا. شخص فارغ. عشرون مصيبة.

لوبوف أندرييفنا: فيرس، لو بيعت الضيعة فإلى أين تذهب؟

فيرس: سأذهب إلى حيث تأمرون.

لوبوف أندرييفنا: ما بال وجهك هكذا؟ هل أنت مريض؟ هلا ذهبت إلى الفراش.

فيرس: نعم ... (بسخرية) إذا ذهبت إلى الفراش فمَن غيري سيخدم ومَن سيتصرف؟ أنا وحدي لخدمة البيت كله.

ياشا (للوبوف أندرييفنا)**:** لوبوف أندرييفنا، اسمحي لي برجاءٍ لو تكرمت. إذا سافرت ثانيةً إلى باريس فلتأخذيني معكِ، اصنعي معروفًا. لا يمكنني أبدًا أن أبقى هنا (يتلفت، ثم بصوتٍ خافت) ما جدوى الكلام؟ أنتِ ترين بنفسك، بلد جاهل، وناس بلا أخلاق، وفوق ذلك الضجر، والأكل في المطبخ فظيع، ثم فيرس هذا يسير ويدمدم بشتَّى الكلمات غير المناسبة. خذيني معكِ لو تكرمتِ!

(يدخل بيشيك.)

بيشيك: اسمحي لي أن أدعوكِ ... لرقصةِ الفالس يا سيدتي الرائعة ... (لوبوف أندرييفنا تمضي معه) أيتها الساحرة، سآخذ منك مع ذلك مائة وثمانين روبلًا ... سآخذ ... (يرقص) مائة وثمانين روبلًا ...

(ينتقلان إلى الصالة.)

ياشا (يدندن بصوتٍ خافت)**:** «هل تدركين عذاب قلبي ...»

(في الصالة شخص في قبعة أسطوانية رمادية وسِروال كاروهات يشيح بيديه ويقفز. صيحات: «برافو شارلوتا إيفانوفنا!»)

دونياشا (تتوقف لتضع البودرة)**:** السيدة تأمرني أن أرقص، فالمراقصون كثيرون والسيدات قليلات، بينما رأسي يدور من الرقص، وقلبي يدق يا فيرس نيكولايفتش، الآن قال لي موظف البريد كلامًا بهر أنفاسي.

(الموسيقى تهدأ.)

فيرس: وما الذي قاله لك؟

دونياشا: قال: أنتِ كالزهرة.

ياشا: يا للجهل ... (ينصرف.)

دونياشا: كالزهرة ... أنا فتاة حساسة جدًّا، أموت في الكلام الرقيق.

فيرس: ستقعين، يا فتاة.

(يدخل يبيخودوف.)

يبيخودوف: أنتِ لا تريدين أن تريني يا أفدوتيا فيودوروفنا ... كأنما أنا حشرةٌ ... (يتنهد) آه، دُنيا!

دونياشا: أي خدمة؟

يبيخودوف: لا شك أنكِ ربما كنتِ على صواب. (يتنهد) ولكن بالطبع، لو نظرنا من وجهة نظر، فإنكِ، ولأسمح لنفسي بهذا التعبير، وعفوًا على الصراحة، قد جعلتني تمامًا في حالة الروح. إنني أعرف حظي، وكل يوم تحل بي مصيبةٌ ما، وقد تعوَّدت ذلك منذ وقت بعيد، وأصبحت أنظر إلى مصيري بابتسامة. لقد وعدتني، رغم أني ...

دونياشا: أرجوك، سنتحدث فيما بعد، أما الآن فدعني وشأني. إنني الآن أحلم (تعبث بالمروحة).

يبيخودوف: كل يوم تحل بي مصيبةٌ بينما أنا، وسأسمح لنفسي بهذا التعبير، أبتسم فحسب، بل حتى أضحك.

(تدخل فاريا من الصالة.)

فاريا: أما زلت هنا يا سيميون؟ يا لك من شخص غير محترم! (لدونياشا) انصرفي أنتِ يا دونياشا. (ليبيخودوف) تارة تلعب البلياردو فتكسر العصا، وتارة تتمخطر في غرفة الجلوس كضيف.

يبيخودوف: اسمحي أن أعرب لكِ أنكِ لا تستطيعين أن تحاسبيني.

فاريا: أنا لا أحاسبك بل أكلمك. لا تعرف سوى أن تتنقل من مكانٍ إلى مكان ولا تفعل شيئًا. نستخدم وكيل أعمال، فلأي غرض؟ لا نعرف.

يبيخودوف (بزعل): إن كنت أعمل، أم أنتقل، أم آكل، أم ألعب البلياردو، فهذه مسائل لا يستطيع أن يناقشها إلا من هم أكبر، وأكثر فهمًا.

فاريا: وتجرؤ على أن تقول لي هذا! (باحتداد) أتجرؤ؟ إذن أنا لا أفهم شيئًا. غُر من هنا فورًا!

يبيخودوف (وقد جَبُن): أرجوكِ أن تعبري بكلماتٍ رقيقة.

فاريا (منفجرة): غُر من هنا فورًا! غُر!

(يسير نحو الباب وهي تتبعه.)

يا عشرين مصيبة! إياك أن تبقى هنا! إياك أن تراك عيني!

(يبيخودوف يخرج. يُسمَع صوته من وراء الباب: «سوف أشكوك!»)

آه، تعود؟ (تمسك العصا التي وضعها فيرس بجوار الباب) تعالَ ... تعالَ ... تعالَ، وسأريك ... آه، تأتي؟ تأتي؟ إذن خذ ... (تهوى بالعصا في اللحظة التي يدخل فيها لوباخين.)

لوباخين: أشكرك من صميم القلب.

فاريا (بغضبٍ وسخرية)**:** لا مؤاخذة.

لوباخين: لا بأس. أشكرك من صميم القلب على كرم الضيافة هذا.

فاريا: لا داعي للشكر (تبتعد ثم تلتفت وتسأل بنعومة) ألم أصبك بجرح؟

لوباخين: كلا، لا بأس. ولكن سيبرز ورم هائل.

أصوات في الصالة: «لوباخين وصل! يرمولاي أليكسييتش!»

بيشيك: رأينا وسمعنا ... (يتبادل القُبل مع لوباخين) تفوح منك رائحة الكونياك يا عزيزي، يا روحي. ونحن أيضًا نمرح هنا.

(تدخل لوبوف أندرييفنا.)

لوبوف أندرييفنا: أهو أنت يا يرمولاي أليكسييتش؟ لماذا تأخرتم هكذا؟ أين ليونيد؟

لوباخين: ليونيد أندرييتش جاء معي، إنه قادم.

لوبوف أندرييفنا (بقلق)**:** ماذا هناك؟ تمَّ المزاد؟ تكلم!

لوباخين (مُحرجًا، يخشى إظهار فرحته)**:** المزاد انتهى في حوالي الرابعة ... تأخرنا على القطار، فاضطررنا للانتظار إلى التاسعة والنصف (يتنهد بمعاناة) أفٍّ! رأسي يدور قليلًا.

(يدخل جايف، في يده اليمنى مشتريات، وباليسرى يمسح دموعه.)

لوبوف أندرييفنا: لونيا، ماذا؟ لونيا، قل (بنفاد صبر، تبكي) بسرعة بالله عليك.

جايف (لا يرد عليها، فقط يشيح بيده، يقول لفيرس باكيًا)**:** خذ، أمسك ... هنا أنشوجة وفسيخ من كيرتش ... أنا لم آكل شيئًا اليوم ... كم تعذَّبت!

(باب غرفة البلياردو مفتوح، تُسمع ضربات الكرات وصوت ياشا: «سبع وثماني عشرة!» يتغير تعبير وجه جايف، ولا يعود يبكي.)

تعبت جدًّا. هلا جعلتني أغير ملابسي يا فيرس.

(ينصرف إلى غرفته عبر الصالة، وفيرس يتبعه.)

بيشيك: ماذا حدث في المزاد؟ تكلَّم!
لوبوف أندرييفنا: هل بيع بستان الكرز؟
لوباخين: بيع.
لوبوف أندرييفنا: مَن اشتراه؟
لوباخين: أنا اشتريته.

(صمت.)

(لوبوف أندرييفنا مقهورة. لو لم تكن واقفة بجوار الكرسي والطاولة لسقطت. فاريا تنزع المفاتيح من خصرها وتلقي بها على الأرض في وسط غرفة الجلوس وتنصرف.)

أنا اشتريته! مهلًا يا سادة، لو تكرمتم، رأسي يدور، ولا أستطيع أن أتكلم ... (يضحك) وصلنا إلى المزاد، فإذا ديرجانوف هناك. كان مع ليونيد أندرييتش خمسة عشر ألفًا فقط، أما ديرجانوف فقد عرض فوق الدين ثلاثين ألفًا على الفور. عندما وجدت المسألة هكذا اشتبكت معه، وعرضت أربعين. فعرض خمسة وأربعين. فعرضت خمسة وخمسين. كان يرفع بالخمسة يعني، وأنا بالعشرة ... حسنًا، انتهى. عرضت فوق الدين تسعين، فرسا المزاد عليَّ. أصبح بستان الكرز لي! لي! (يقهقه) يا إلهي، يا ربي، بستان الكرز لي! قولوا لي إنني سكران، إنني مجنون، إن هذا كله يخيل إليَّ ... (يدق بقدميه) لا تضحكوا مني! لو نهض أبي وجدي من قبريهما، ونظرا إلى كل ما حدث، وكيف اشترى ابنهما يرمولاي، يرمولاي المضروب، شبه الأمي، الذي كان يركض حافي القدمين في الشتاء، كيف اشترى يرمولاي هذا ضيعة ليس هناك أروع منها في الدنيا. أنا اشتريت الضيعة التي كان أبي وجدي عبدين فيها، وحيث لم يكن يسمح لهما حتى بدخول المطبخ. إنني نائم، وهذه مجرد تهيؤات، هذا يبدو لي فحسب ... هذا ثمرة خيالك الملفوفة بظلام المجهول ... (يرفع المفاتيح ويبتسم برقة) ألقت بالمفاتيح، تريد أن تريني أنها لم تعد ربة البيت هنا ... (يصلصل بالمفاتيح) حسنًا، سيان.

(تسمع أصوات ضبط آلات الفرقة.)

أيها الموسيقيون، اعزفوا، أنا أريد أن أسمعكم! تعالوا جميعًا لتروا كيف يعربد يرمولاي لوباخين بالفأس في بستان الكرز، وكيف ستسقط الأشجار على الأرض! سنبني الفيلات، وسيرى أحفادنا وأبناء أحفادنا هنا حياة جديدة ... فلتعزف الموسيقى!

(الموسيقى تُعزف. لوبوف أندرييفنا تجلس على الكرسي وتبكي بحرقة.)

(بتأنيب) لماذا إذن، لماذا لم تُصغي إليَّ؟ أيتها المسكينة، أيتها الطيبة، لا فائدة الآن. (تسيل دموعه) أوه، لو ينتهي كل هذا بسرعة، لو تتغير بسرعة كيفما كان، حياتنا الخرقاء التعيسة.

بيشيك (يتأبط ذراعه، يقول بصوتٍ خافت)**:** إنها تبكي. لنذهب إلى الصالة، فلتبقَ وحدها ... هيا بنا ... (يتأبط ذراعه ويسحبه إلى الصالة.)

لوباخين: ما هذا؟ فلتُعزف الموسيقى بوضوح! فليكن كل شيء كما أريد! (باستهزاء) السيد الجديد يسير، مالك بستان الكرز! (يصطدم بطاولةٍ صغيرةٍ عفوًا فيكاد يقلب الشمعدان) أستطيع أن أدفع ثمن كل شيء! (ينصرف مع بيشيك.)

(لا يبقى في الصالة وغرفة الجلوس أحد سوى لوبوف أندرييفنا التي تجلس منكمشة على نفسها وهي تبكي بحرقة. الموسيقى تُعزف بصوتٍ خافت. آنيا وتروفيموف يدخلان بسرعة. آنيا تقترب من أمها وتجثو أمامها على ركبتيها. تروفيموف يقف بجوار مدخل الصالة.)

آنيا: ماما! ... ماما، أتبكين؟ يا عزيزتي، يا أمي الطيبة، العزيزة، يا غاليتي الرائعة، إنني أحبك. إنني أباركك. بستان الكرز بيع، لم يعد موجودًا، هذا صحيح، صحيح، ولكن لا تبكي يا ماما، بقيت لديك حياتك القادمة، بقيت لديكِ روحكِ الطيبة الطاهرة ... هيا معي، هيا بنا يا غاليتي من هنا، لنذهب! ... سنغرس لنا بستانًا جديدًا، أكثر روعة من هذا، وسترينه وستفهمين، فتغمر روحكِ فرحةٌ هادئةٌ، فرحةٌ عميقةٌ، كالشمس وقت الغروب، فتبتسمين يا ماما! هيا يا حبيبتي! هيا!

(ستار)

الفصل الرابع

(ديكور الفصل الأول. الستائر نُزعت من النوافذ واللوحات من على الجدران، وبقي القليل من الأثاث الذي جُمِع في ركن واحد كأنما للبيع. الخواء ظاهر ملموس. بجوار باب الخروج وفي عمق الخشبة رُصَّت الحقائب وصُرر السفر وخلافه. الباب الأيسر مفتوح، ويتناهى منه صوتا فاريا وآنيا. لوباخين يقف منتظرًا. ياشا يحمل صينية عليها أكواب مليئة بالشمبانيا. في المدخل يبيخودوف يربط صندوقًا وراء الخشبة عميقًا يسمع لغط الفلاحين، الذين جاءوا للتوديع. صوت جايف: «شكرًا يا جماعة، شكرًا لكم».)

ياشا: الناس البسطاء جاءوا ليودعونا. أنا رأيي يا يرمولاي أليكسييتش أن الشعب طيب، ولكنه قليل الفَهم.

(اللغط يهدأ. تدخل من المدخل لوبوف أندرييفنا وجايف. لا تبكي ولكنها شاحبة، وجهها يرتعش، لا تقوى على الكلام.)

جايف: أعطيتهم محفظتك يا لوبا. هذا لا يصح، لا يصح!
لوبوف أندرييفنا: لم أستطع! لم أستطع!

(ينصرفان.)

لوباخين (في الباب، في أثرهما)**:** تفضَّلوا لو سمحتم! كأسًا للوداع. لم أفطن إلى شرائها في المدينة، وفي المحطة لم أجد سوى زجاجةٍ واحدة. تفضَّلوا!

(صمت.)

حسنًا يا سادة! لا تريدون؟ (يبتعد عن الباب) لو كنت أدري ما اشتريتها. طيب، لن أشرب أنا أيضًا.

(ياشا يضع الصينية بحذرٍ على الكرسي.)

اشرب ولو أنت يا ياشا.
ياشا: نخب السفر! نترككم بخير! (يشرب) هذه شمبانيا ليست أصلية، أؤكد لك.
لوباخين: بثمانية روبلات الزجاجة.

(صمت.)

البرد جهنمي هنا.
ياشا: لم نُشَغل المدافئ اليوم، فسوف نسافر.

(يضحك.)

لوباخين: ماذا بك؟
ياشا: من الفرحة.
لوباخين: نحن في شهر أكتوبر بينما الجو مشمس وساكن كما في الصيف، يناسب التشييد. (ينظر في ساعته ويقول نحو الباب) ضعوا في اعتباركم يا سادة، لم تبقَ سوى ست وأربعين دقيقة على قيام القطار! وإذن فبعد عشرين دقيقة إلى المحطة. استعجلوا.

(تروفيموف في المعطف يدخل قادمًا من الخارج.)

تروفيموف: أعتقد أنه حان الوقت للسفر. العربة جاهزة. الشيطان يعلم أين خُفي. ضاع. (نحو الباب) آنيا، خُفي ضاع! لا أجده!
لوباخين: عليَّ أن أسافر إلى خاركوف. سأستقل معكم نفس القطار. سأقضي الشتاء كله في خاركوف. لقد تسكَّعت معكم طويلًا، وهدتني البطالة. لا أستطيع أن أبقى بلا عمل، إذ لا أعرف ماذا أفعل بيديَّ ... تتهدلان بصورة غريبة، وكأنهما ليستا يديَّ.
تروفيموف: سنرحل الآن، وتعود إلى عملك المفيد.
لوباخين: هيا، اشرب كأسًا.
تروفيموف: لا.
لوباخين: إذن، فإلى موسكو الآن؟

تروفيموف: نعم، سأوصلهم إلى المدينة، وغدًا إلى موسكو.

لوباخين: نعم ... حسنًا، الأساتذة لا يلقون المحاضرات، لا بد أنهم في انتظار حضورك!

تروفيموف: ليس هذا شأنك.

لوباخين: كم سنة تدرس في الجامعة؟

تروفيموف: ابتكر شيئًا جديدًا. هذا قديم وسطحي (يبحث عن الخُف) أتدري، أعتقد أننا لن نتقابل بعد، فلتسمح لي إذن أن أقدم لك نصيحة ساعة الوداع:

لا تُشوِّح بيديك! تخلَّ عن هذه العادة ... عادة التشويح. وأيضًا بناء الفيلات على أمل أن يتحول بعض المصطافين إلى منتجين، هذا الأمل أيضًا معناه التشويح ... مهما كان هناك فإنني أحبك مع ذلك. إن أصابعك رفيعة، ناعمة، مثل أصابع الممثل، وروحك حساسة، رقيقة ...

لوباخين (يعانقه)**:** وداعًا يا عزيزي. شكرًا على كل شيء. إذا كنت محتاجًا فخُذ مني نقودًا للطريق.

تروفيموف: وما حاجتي إليها؟ لا داعي.

لوباخين: ولكنك بلا نقود!

تروفيموف: بل عندي. أشكرك. تلقيت حوالة. ها هي النقود هنا، في جيبي. (بقلق) ولكني لا أجد خُفي!

فاريا (من الغرفة الأخرى)**:** خذ خفك المُقزِّز!

(تُلقي على خشبة المسرح بخفين من المطاط.)

تروفيموف: ما لك غاضبة يا فاريا؟ إم ... إنه ليس خفي!

لوباخين: في الربيع زرعت مائة هكتار من الخشخاش، وحصلت الآن على أربعين ألفًا صافية. وعندما أزهر خشخاشي، فيا لها من لوحةٍ كانت! وهكذا، أقول، كسبت أربعين ألفًا، وعلى هذا أعرض عليك سُلفةً لأني قادر. فلماذا الاستعلاء؟ إنني فلاح ... أتعامل ببساطة.

تروفيموف: أبوك كان فلاحًا، وأبي كان صيدليًا، ولا يترتب على ذلك أي شيء على الإطلاق.

(لوباخين يُخرِج محفظته.)

دعك ... دعك ... لو أعطيتني مائتي ألف فلن آخذها. أنا إنسان حُر. وكل ما تقدرونه عاليًا وغاليًا أنتم جميعًا، أغنياء وفقراء، ليس له عليَّ أدنى سلطان، مثل الزغب المُتطاير في

الهواء. أستطيع أن أستغني عنكم، أستطيع أن أمر من جواركم غير عابئ، فأنا قوي وأبي. البشرية تسير إلى الحقيقة السامية، إلى السعادة السامية، أقصى ما يمكن بلوغه على وجه الأرض، وأنا في الصفوف الأولى!

لوباخين: وستصل؟

تروفيموف: سأصل.

(صمت.)

سأصل، أو أُرشد الآخرين إلى طريق الوصول.

(تُسمع على البعد ضربات فأس في شجرة.)

لوباخين: حسنًا، وداعًا يا عزيزي. حان وقت الرحيل. كُل منا يتعالى على الآخر، ولكن الحياة تمضي في طريقها. عندما أعمل وقتًا طويلًا، بلا توقف، تصبح أفكاري حية، ويُخيَّل إليَّ أنني أعرف أيضًا لماذا أعيش. وما أكثر الأشخاص في روسيا الذين لا يعرفون يا أخي لماذا يعيشون. ومع ذلك فليست دورة الأشياء في هذا. يقال إن ليونيد أندرييتش تولَّى منصبًا، سيعمل في بنك، ستة آلاف روبل في السنة ... ولكنه لن يبقى طويلًا، فهو كسول جدًّا.

آنيا (وهي في الباب): ماما ترجوك ألا يقطعوا أشجار البستان حتى تسافر.

تروفيموف: بالفعل، يا له من عدم لباقة! ... (ينصرف من المدخل.)

لوباخين: حالًا، حالًا ... يا لهم من ناس، حقًّا (يخرج في أثره).

آنيا: هل أرسلوا فيرس إلى المستشفى؟

ياشا: قلت لهم صباحًا. لا بد أنهم أرسلوه.

آنيا (ليبيخودوف المار عبر الصالة)**:** اسأل يا سيميون بانتلييتش لو سمحت، عما إذا كان فيرس قد نُقل إلى المستشفى.

ياشا (بزعل)**:** في الصباح قلت ليجور: ما الداعي للسؤال عشر مرات؟

يبيخودوف: فيرس الطويل العمر، حسب رأيي النهائي، لا يُجدي معه الإصلاح، عليه أن يلحق بأسلافه، أما أنا فلا يسعني إلا أن أغبطه. (يضع الحقيبة على علبة كرتون بداخلها قبعة فيسحقها) هكذا، طبعًا. هذا ما كنت أعرفه (ينصرف).

ياشا (بسخرية)**:** عشرون مصيبة!

فاريا (من خلف الباب)**:** هل نقلوا فيرس إلى المستشفى؟

آنيا: نقلوه.

فاريا: ولماذا لم يأخذوا رسالة للدكتور؟

آنيا: ينبغي إرسالها في أثره ... (تنصرف.)

فاريا (من الغرفة المجاورة)**:** أين ياشا؟ قولوا له إن أمه جاءت، وتريد أن تودعه.

ياشا (يشيح بيده)**:** لا يفعلون إلا إغاظتي.

(دونياشا تسعى طوال الوقت بجوار الأمتعة. وحيثما أُصيح. ياشا وحده تقترب منه.)

دونياشا: ألقِ نظرةً ولو مرة يا ياشا. أنت راحل ... تهجرني!

(تبكي وتتعلق برقبته.)

ياشا: لمَ البكاء؟ (يشرب الشمبانيا) بعد ستة أيام سأكون ثانيةً في باريس. غدًا نستقل القطار السريع وننطلق، فلا نترك أثرًا. إنني حتى لا أصدق نفسي ... فيف لا فرانس![1] ... الجو هنا لا يناسبني، لا أستطيع أن أعيش هنا ... ليس باليد حيلة. شبعت من رؤية الجهل، كفاني ... (يشرب الشمبانيا) لماذا البكاء؟ تصرَّفي بحشمة وعندئذ لن تبكي.

دونياشا (تضع البودرة متطلعةً في مرآة)**:** أرسِل إليَّ رسالةً من باريس. لقد أحببتك يا ياشا، كم أحببتك! أنا مخلوق رقيق يا ياشا!

ياشا: أحدهم قادم (يسعى بجوار الأمتعة ويدندن بصوتٍ خافت).

(تدخل لوبوف أندرييفنا وجايف وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا.)

جايف: لعلَّنا نتحرك الآن. لم يبقَ وقتٌ كثير (ينظر ياشا) ممن تفوح رائحة الفسيخ؟

لوبوف أندرييفنا: بعد حوالي عشر دقائق دعونا نستقل العربات ... (تطوف بنظراتها على الغرفة) وداعًا بيتنا العزيز، جدنا العجوز. سيمر الشتاء ويحل الربيع، وبحلوله لن تعود موجودًا، سيهدمونك. كم رأت هذه الجدران! (تُقبِّل ابنتها بحرارة) يا كنزي الغالي، أنتِ تتهللين، عيناكِ تشعان كماستَين. هل أنتِ راضية؟ جدًّا؟

آنيا: جدًّا! ستبدأ حياةٌ جديدةٌ يا ماما!

[1] تحيا فرنسا! عن الفرنسية.

جايف (بمرح)**:** بالفعل، كل شيء الآن حسن. قبل بَيع بستان الكرز كُنا جميعًا قلقين، نعاني، ولكن حينما حُسِمَت المسألة نهائيًّا، وبلا رجعة، هدأ الجميع، بل حتى ابتهجوا ... أنا موظف بنك، أصبحت رجل مالية ... الصفراء إلى الوسط، وأنتِ يا لوبا، مهما كان، تبدين أفضل، بالتأكيد.

لوبوف أندرييفنا: نعم. أعصابي أفضل، هذا صحيح.

(يقدمون لها القبعة والمِعطف.)

أنام جيدًا. احمل أمتعتي يا ياشا. حان الوقت. (لآنيا) يا بنيتي، سنلتقي قريبًا ... سأرحل إلى باريس، سأعيش هناك بالنقود التي أرسلَتها جدتك في ياروسلافل لشراء الضيعة، عاشت الجدة! ولكن هذه النقود لن تكفي طويلًا.

آنيا: ستعودين قريبًا جدًّا يا ماما ... أليس كذلك؟ أنا سأذاكر، وأمتحن في المدرسة، وبعد ذلك سأعمل، وسأساعدك. سوف نقرأ معًا يا ماما مختلف الكتب ... أليس كذلك؟ (تُقبِّل يدي أمها) سوف نقرأ في أُمسيات الخريف، سنقرأ كُتبًا كثيرة، وسيتكشف أمامنا عالم جديد، رائع ... (تحلم) عودي يا ماما!

لوبوف أندرييفنا: سأعود يا حبيبتي (تضم ابنتها).

(يدخل لوباخين. شارلوتا تدندن أغنية بصوتٍ خافت.)

جايف: ما أسعد شارلوتا ... تُغني!

شارلوتا (تناول صُرة تشبه مولودًا ملفوفًا)**:** نَم يا طفلي، نَم ...

(يُسمع بكاء طفل: «وا ... وا ...»)

لا تبكِ يا صغيري، يا طفلي العزيز.

(«وا ... وا ...»)

كم أرثى لك! (تلقي بالصرة إلى مكانها) أرجوك هيئ لي مكانًا، أنا لا أستطيع هكذا.

لوباخين: سنهيئ لك يا شارلوتا إيفانوفنا، اطمئني.

جايف: الجميع يهجروننا، فاريا ترحل ... أصبحنا فجأةً بلا ضرورة.

شارلوتا: ليس لي مسكن في المدينة. ينبغي أن أرحل ... (تدندن) سيان ...

(يدخل بيشيك.)

لوباخين: معجزة الطبيعة!

بيشيك (لاهثًا)**:** أوه، دعوني أسترد أنفاسي ... تعذَّبت ... أيها المحترمون ... أعطوني ماء ...

جايف: تراك ستطلب نقودًا؟ كلا، أعفوني، سأبتعد عن الشر ... (ينصرف.)

بيشيك: لم أزركم من مدةٍ طويلةٍ ... سيدتي الرائعة ... (للوباخين) وأنت هنا ... سعيد برؤيتك ... أيها العقل الجبار ... خُذ ... تسلَّم ... (يمد نقودًا للوباخين) أربعمائة روبل ... يبقى عليَّ ثمانمائة وأربعون.

لوباخين (يهز كتفيه مستغربًا)**:** كأنما في حلم ... من أين أخذتها؟

بيشيك: مهلًا ... الدنيا حر ... حادث لا مثيل له. جاءني إنجليز فعثروا في الأرض على طين ما أبيض ... (للوبوف أندرييفنا) ولك أربعمائة ... سيدتي الرائعة، المدهشة ... (يناولها النقود) الباقي فيما بعد. (يشرب ماء) حدثني أحد الشبان وأنا قادم في عربة القطار، فقال إن أحد الـ... الفلاسفة العِظام ينصح بالقفز من الأسطح ... يقول: «اقفز!» وهذه هي المسألة كلها. (باستغراب) يا سلام! أعطوني ماء!

لوباخين: أي إنجليز جاءوك؟

بيشيك: أجَّرت لهم قطعة الأرض ذات الطين لأربعة وعشرين عامًا، والآن عفوًا، أنا مستعجل ... عليَّ أن أواصل الركض ... سأرحل إلى زنويكوف ... وإلى كاردامونوف ... مَدينٌ للجميع ... (يشرب) تمنياتي لكم ... سأزوركم الخميس.

لوبوف أندرييفنا: سنرحل الآن للإقامة في المدينة، وغدًا سأرحل أنا إلى الخارج.

بيشيك: كيف؟ (بقلق) لماذا في المدينة؟ آه، ولهذا فالأثاث ... والحقائب ... لكن لا بأس ... (من خلال الدموع) لا بأس ... أناس جبارو العقول ... هؤلاء الإنجليز ... لا بأس ... وهبكم الله السعادة ... وفقكم الله ... لا بأس ... لكل شيء في هذه الدنيا نهاية ... (يُقبِّل يد لوبوف أندرييفنا) فإذا بلغكِ أن نهايتي حلَّت، فلتتذكري هذا الـ... الحصان، وقولي: «عاش في الدنيا فلان الفلاني ... سيميونوف-بيشيك ... عليه الرحمة.» يا للطقس الرائع ... نعم ... (يخرج في ارتباك شديد، ولكِنه يعود فورًا ويقول وهو في الباب) داشنكا تهديكم تحياتها! (ينصرف.)

لوبوف أندرييفنا: يمكننا الآن أن نسافر. أرحل بهمَّين. الهم الأول هو فيرس المريض (تنظر إلى ساعتها) ما زال لدينا خمس دقائق.

آنيا: ماما، فيرس أرسلوه إلى المستشفى. ياشا أرسله في الصباح.

لوبوف أندرييفنا: والهم الثاني هو فاريا. تعوَّدت أن تستيقظ مبكرًا لتعمل، وهي الآن بلا عمل كالسمكة بلا ماء، هزلت وشحبت، وتبكي، المسكينة ...

(صمت.)

أنت تعرف هذا تمامًا يا يرمولاي أليكسييتش. كنت أحلم ... بأن أزوِّجها لك. وكان يبدو، من كل الدلائل، أنك ستتزوجها. (تهمس لآنيا، فتومئ هذه لشارلوتا وتخرجان كلتاهما) إنها تحبك، وأنت تميل إليها، ولست أدري، لست أدري لماذا يبدو وكأن كلًّا منكما يتحاشى الآخر. لست أفهم!

لوباخين: أنا أيضًا لا أفهم، صدقيني. غريب كل ذلك ... إذا كان ما يزال ثَمة وقت، فأنا مستعد ولو الآن ... نفرغ من المسألة، وانتهينا. أما بدونك فأشعر أني لن أقدر على خطبتها.

لوبوف أندرييفنا: رائع إذن. تكفي دقيقة واحدة فقط. سأناديها الآن.

لوباخين: وبالمناسبة لدينا شمبانيا. (ينظر إلى الأكواب) إنها فارغة، شربها أحدٌ ما.

(ياشا يسعل.)

هذا اسمه ... لعق ...

لوبوف أندرييفنا (بحيوية)**:** رائع ... نحن سنخرج ... ياشا، allez[٢] سأناديها ... (نحو الباب) فاريا، دعي كل شيء وتعالي هنا. تعالي! (تخرج مع ياشا.)

لوباخين (ينظر إلى ساعته)**:** نعم!

(صمت.)

(خلف الباب ضحك مكتوم وهمس، وأخيرًا تدخل فاريا.)

فاريا (تتفحص الأمتعة طويلًا)**:** غريبة، لا أستطيع أبدًا أن أجدها!

لوباخين: عمَّ تبحثين؟

---

[٢] اذهب! بالفرنسية في الأصل.

فاريا: رتبتها بنفسي ولا أذكر.

(صمت.)

لوباخين: وإلى أين تذهبين الآن يا فارفارا ميخايلوفنا؟
فاريا: أنا؟ إلى آل راجولين ... اتفقت أن أتولَّى شئون البيت عندهم ... مدبرة يعني.
لوباخين: هذا في ياشنيفو؟ حوالي سبعين كيلومترًا.

(صمت.)

ها قد انتهت الحياة في هذا البيت.
فاريا (تتفقد الأمتعة بنظرها)**:** أين هي؟ ربما أكون وضعتها في الصندوق ... نعم، الحياة انتهت في هذا البيت ... لن تعود أبدًا.
لوباخين: أنا مسافر إلى خاركوف الآن ... وفي نفس القطار. الأعمال كثيرة. أترك هنا يبيخودوف، لقد استأجرته.
فاريا: آه.
لوباخين: في العام الماضي كان الثلج يهطل في مثل هذا الوقت، لو تذكرين، أما الآن فالجو هادئ، مشمس. فقط بارد قليلًا ... حوالي ثلاث درجات تحت الصفر.
فاريا: لم أنظر إلى مقياس الحرارة.

(صمت.)

ثم إنه مكسور.

(صمت.)

صوت من الخارج عبر الباب: «يرمولاي أليكسييتش!»
لوباخين (كأنما كان ينتظر هذا النداء من زمان)**:** حالًا!

(يخرج بسرعة.)

(تجلس فاريا على الأرض، وتسند رأسها إلى صُرة بها ملابس وتنتحب بصوتٍ خافت. يُفتح الباب وتدخل لوبوف أندرييفنا بحذر.)

لوبوف أندرييفنا: ماذا؟

(صمت.)

ينبغي أن نرحل.

فاريا (كفت عن البكاء ومسحت دموعها)**:** نعم، حان الوقت يا ماما. سأصل إلى آل راجولين اليوم، المهم ألا نتأخر عن القطار.

لوبوف أندرييفنا (نحو الباب)**:** آنيا، البسي!

(تدخل آنيا، ثم جايف وشارلوتا إيفانوفنا. جايف في معطف ثقيل بقلنسوة. يجتمع الخدم والحوذية. يبيخودوف يسعى بجوار الأمتعة.)

الآن يمكننا أن نرحل.

آنيا (بفرح)**:** لنرحل!

جايف: أصدقائي، الأعزاء الأحباء! هل يسعني إذ أغادر هذا البيت أن أسكت؟ هل يسعني أن أمسك عن الإفصاح لحظة الوداع عن تلك المشاعر التي تملأ الآن كل جوانحي؟

آنيا (بضراعة)**:** خالي!

فاريا: لا داعي يا خالي!

جايف (بانكسار)**:** الصفراء إلى الوسط دوبليه سكت.

(يدخل تروفيموف، ثم لوباخين.)

تروفيموف: حسنًا يا سادة، حان وقت الرحيل!

لوباخين: معطفي يا يبيخودوف!

لوبوف أندرييفنا: سأجلس دقيقةً أخرى كأنما لم أرَ من قبل كيف تبدو جدران هذا البيت، وأسقفه، والآن أحدق فيها بنهم، بحب رقيق.

جايف: أذكر عندما كنت في السادسة، في عيد العنصرة، كنت جالسًا على هذه النافذة وأنظر إلى أبي وهو ذاهب إلى الكنيسة.

لوبوف أندرييفنا: أخذتم كل الأمتعة؟

لوباخين: يبدو كلها (ليبيخودوف وهو يرتدي المعطف) انتبه يا يبيخودوف إلى أن يكون كل شيء على ما يرام.

يبيخودوف (يتكلم بصوتٍ أبح)**:** اطمئن يا يرمولاي أليكسييتش.

لوباخين: ماذا جرى لصوتك؟

يبيخودوف: شربت الآن ماء فبلعت شيئًا ما.

ياشا (باحتقار)**:** يا للجهل!

لوبوف أندرييفنا: سنرحل، ولا يبقى هنا أحد.

لوباخين: حتى الربيع القادم.

فاريا (تنتزع من الصرة مظلة، فيبدو وكأنها تهم بضرب أحد. لوباخين يتظاهر بالخوف)**:** لا تخف، لا تخف ... لم يخطر هذا ببالي.

تروفيموف: يا سادة فلنركب العربات ... حان الوقت! القطار سيصل قريبًا!

فاريا: بيتيا، ها هو خُفُّك، بجوار الحقيبة. (من خلال الدموع) كم هو متسخ، وقديم.

تروفيموف (يرتدي الخُف)**:** هيا يا سادة!

جايف (خَجِل بشدة، يخشى أن يبكي)**:** القطار ... المحطة ... الكروازيه إلى الوسط، الأبيض دوبليه إلى الزاوية.

لوبوف أندرييفنا: هيا بنا!

لوباخين: الجميع هنا؟ لا أحد هناك؟ (يوصد الباب الجانبي الأيسر) الأمتعة مرصوصة هنا، ينبغي أن نوصد. هيا بنا!

آنيا: وداعًا بيتنا! وداعًا حياتنا القديمة!

تروفيموف: مرحبًا بالحياة الجديدة! (يخرج مع آنيا.)

(فاريا تطوف ببصرها على الغرفة وتنصرف على مَهل. يخرج ياشا وشارلوتا ومعها كلبها.)

لوباخين: إذن فإلى الربيع. اخرجوا يا سادة ... إلى اللقاء!

(ينصرف.)

(لوبوف أندرييفنا وجايف يبقيان معًا. وكأنما كانا ينتظران ذلك. إذ هبَّ كل منهما يُعانق الآخر وراحا ينتحبان نحيبًا مكتومًا، بصوتٍ خافت، خشية أن يسمعهما أحد.)

جايف (في يأس)**:** يا أختي، يا أختي!

لوبوف أندرييفنا: يا بستاني العزيز، بستاني الرقيق الرائع! ... يا حياتي، يا شبابي، يا سعادتي ... وداعًا!

(صوت آنيا المرِح ينادي: «ماما! ...» صوت تروفيموف المرِح المنفعل يصيح: «أووو ...»)

لوبوف أندرييفنا: لأتطلع للمرة الأخيرة إلى الجدران، إلى النوافذ ... كانت المرحومة أمي تحب السير في هذه الغرفة.

جايف: يا أختي، يا أختي!

(صوت آنيا: «ماما! ...» صوت تروفيموف: «أووو! ...»)

لوبوف أندرييفنا: نحن قادمان!

(ينصرفان.)

(الخشبة خاوية. يُسمع صوت الأبواب وهي تُوصَد كلها بالمفاتيح، ثم صوت رحيل العربات. يسود الهدوء. وسط السكون تتردد ضربة فأس مكتومة على شجرة، فترن وحيدة حزينة. يُسمع وقع خطوات. من الباب الأيمن يظهر فيرس. يرتدي ملابسه المعتادة: السترة والصديرية البيضاء، وفي قدميه شبشب، هو مريض.)

فيرس (يقترب من الباب ويشد المقبض)**:** مغلق سافروا ... (يجلس على الكنبة) نسوني ... لا بأس ... سأجلس هنا ... لا بد أن ليونيد أندرييتش نسي أن يرتدي معطف الفِراء، وذهب بمعطف الخريف ... (يتنهد مهمومًا) أنا لم أنتبه ... طيش الشباب! (يدمدم بشيء لا يمكن فهمه) مرَّ العمر، وكأنما لم أعش (يضطجع) سأرقد قليلًا ليس لديك أي قوى، لم يتبقَّ شيء قَط ... آه ... يا لك من مغفل! (يرقد بلا حِراك.)

(يُسمع صوت من بعيد، كأنما آتٍ من السماء، صوت وتر تمزَّق، صوت متلاشٍ، حزين. يَحلُّ الصمت ولا تُسمع إلا ضربات بالفأس على شجرةٍ بعيدًا في البستان.)

(ستار)


هنداوي